

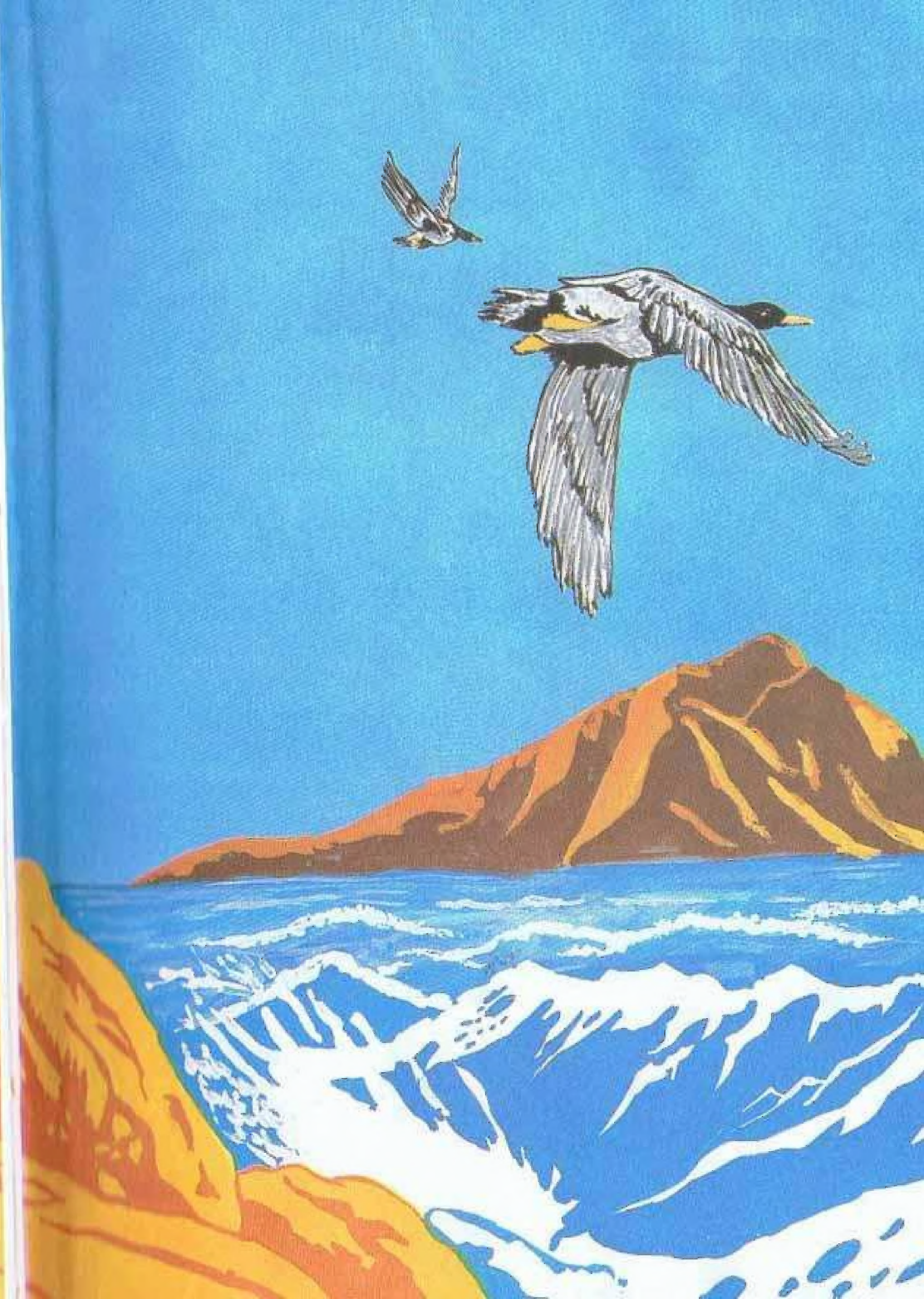
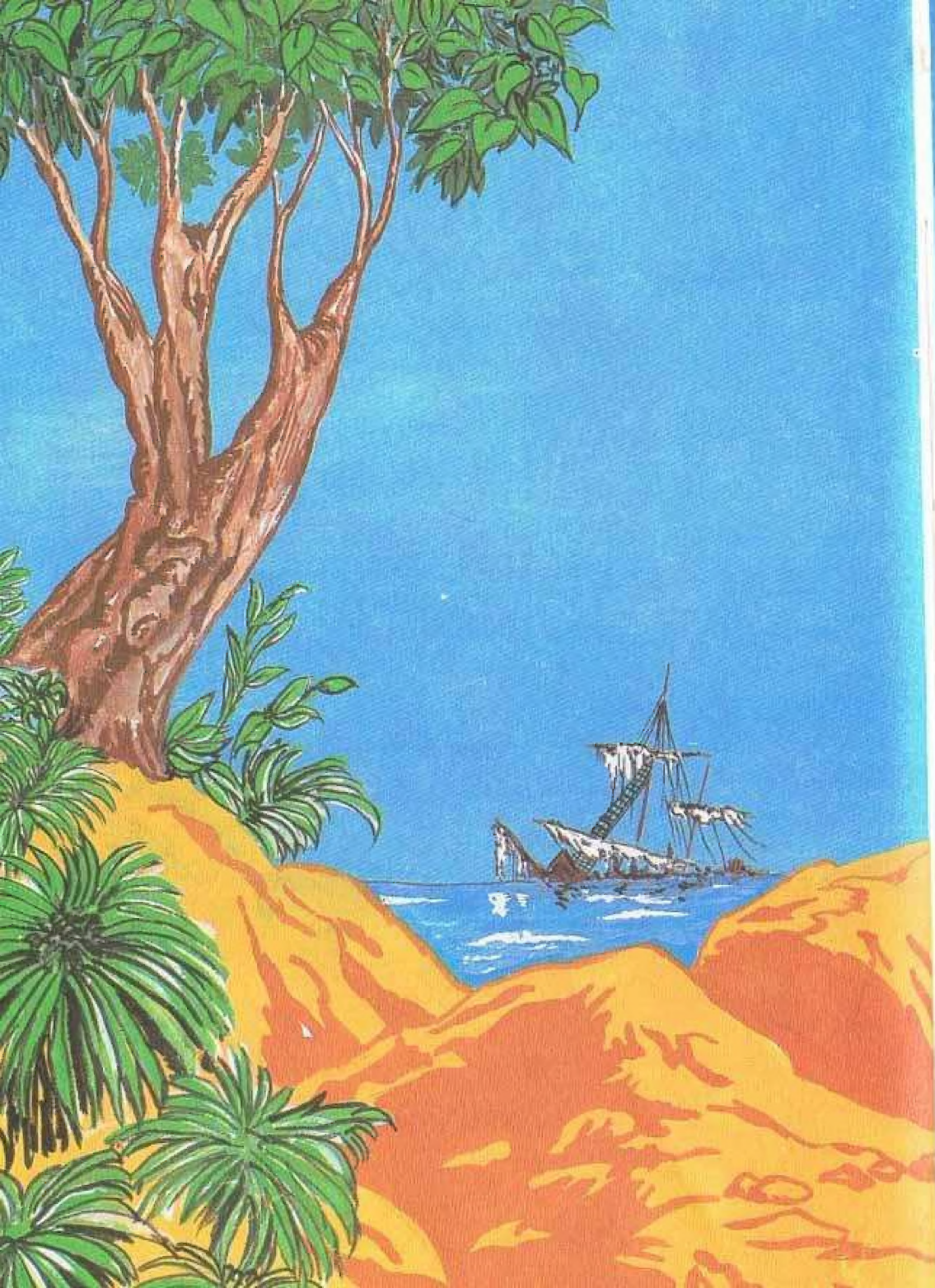
مغامرات

عائلة رينسون السوبرية



المغامرات الفتيمة





رئيس التحرير : وجدي رزق غالي



المغامرات المثيرة

مغامرات

عائلة رينسون السريّة



تأليف : جوناثان فيس

نقلها إلى العربية : يعقوب الشاروني

رسوم : إيهاب وصفي

مكتبة لبنان ناشرون

© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجان ، ١٩٩٥

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة ، مصر

جميع الحقوق محفوظة : لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه
أو تسجيله بأيّة وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

مكتبة لبنان ناشرون

نفاق البلاط - ص.ب : ٩٢٣٢ - ١١
بيروت - لبنان
وكلاء وموزعون في جميع أنحاء العالم

الطبعة الأولى ١٩٩٥

رقم الإيداع : ٧٥١٣ / ١٩٩٣

الترقيم الدولي : ٥ - ١٤١ - ١٦ - ٩٧٧ - ISBN

طبع في دار نوبار للطباعة

الفصل الأول

السَّفِينَةُ تَحْطُمُ

دَامَتِ العاصِفَةُ سِتَّةَ أَيَّامٍ ، وَعَجَزَ رَبَّانُ السَّفِينَةِ عَنْ تَحْدِيدِ الْمَكَانِ
الَّذِي قَدَفْتُنَا إِلَيْهِ الْأَمْوَاجُ ، وَاتَّقَنَ رُكَّابُ السَّفِينَةِ أَنَّهُمْ هَالِكُونَ .

وَتَجَمَعَ أَبْنَائِي الْأَرْبَعَةُ الصِّغَارُ حَوْلِي مَعَ أُمَّهُمْ ، وَالتَّصَقُّوا بِي ،
فَقُلْتُ لَهُمْ : « إِنَّ اللَّهَ ، يَا أَبْنَائِي الْأَعْزَاءَ ، قَادِرٌ عَلَى إِنْقَاذِنَا . »

عِنْدَئِذٍ سَمِعْتُ صَيْحَةً ارْتَفَعَتْ فَوْقَ صَوْتِ العاصِفَةِ : « أَرْضُ !
أَرْضُ ! » ثُمَّ اصْطَدَمَتِ السَّفِينَةُ بِالصُّخُورِ ، وَغَشِيَتْنَا الْأَمْوَاجُ ؛ فَصَاحَ
الرُّبَّانُ : « لَا أَمَلٌ . السَّفِينَةُ تَحْطُمُ . أَنْزِلُوا قَوَارِبَ النُّجَاةِ . »

انْزَعَجَ أَوْلَادِي ، فَقُلْتُ لَهُمْ : « تَشَجَّعُوا ، يَا أَوْلَادِي ؛ فَإِلَّا أَرْضُ
لَيْسَتْ بَعِيدَةً . سَيَهْدِينَا اللَّهُ إِلَى وَسِيلَةٍ نَنْجُو بِهَا . سَأَصْعَدُ إِلَى ظَهْرِ
السَّفِينَةِ ، وَأَرَى مَا الَّذِي نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْعَلَهُ . »

صَعِدْتُ إِلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ ، فَوَجَدْتُ كُلَّ الزَّوَارِقِ فِي الْمَاءِ ، وَقَدْ

غَادَرَ السَّفِينَةَ كُلُّ مَنْ كَانَ عَلَيْهَا وَنَسَوْنَا . وَمَدَدْتُ بَصْرِي نَحْوَ
الْأَرْضِ . وَكَانَ مُقَدِّمُ السَّفِينَةِ قَدْ انْحَسَرَ بَيْنَ صَخْرَتَيْنِ ، فَبَقِيََتْ
فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ .

وَعُدْتُ إِلَى أَسْرَتِي قَائِلًا : « كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ . إِنَّ جُزْءًا
مِنَ السَّفِينَةِ لَا يَزَالُ فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ . وَغَدًا سَتَهْدَأُ الْأَمْوَاجُ ، وَيُصْبِحُ
فِي اسْتِطَاعَتِنَا الْوُصُولُ إِلَى الشَّاطِئِ . »

وَحَلَّ اللَّيْلُ ، وَأَعَدْتُ زَوْجَتِي لَنَا طَعَامًا ، ثُمَّ ذَهَبَ أَوْلَادُنَا لِلنَّوْمِ
وَبَقِيََتْ أَنَا وَزَوْجَتِي سَاهِرَيْنِ . وَطَلَعَ النَّهَارُ ، وَهَدَأَتِ الرِّيحُ ،
وَسَكَنَتِ الْأَمْوَاجُ ، وَصَفَتِ السَّمَاءُ ، وَظَهَرَ الشَّاطِئُ غَيْرَ بَعِيدٍ عَنَّا .

قُلْتُ لِلْأَوْلَادِ : « هَيَّا نَتَجَوَّلُ فِي السَّفِينَةِ ، وَنَرَى مَا يُمَكِّنُ الْعُثُورَ
عَلَيْهِ مِنْ أَشْيَاءَ قَدْ تُسَاعِدُنَا فِي الْوُصُولِ إِلَى الشَّاطِئِ . » وَذَهَبْتُ إِلَى
الْمَخْزَنِ ؛ لِأَعْرِفَ مِقْدَارَ مَا بَقِيَ مِنْ مَاءٍ وَطَعَامٍ يُمَكِّنُ أَنْ نَنْتَفِعَ بِهِ .

وَعَادَ فَرْتَزُ ، أَكْبَرُ أَبْنَائِي ، وَقَدْ أَحْضَرَ مَعَهُ بِنَادِقَ وَبَارودًا وَطَلَقَاتٍ .
أَمَّا إِرْنِسْتُ ، ثَانِي الْأَبْنَاءِ ، فَقَدْ وَجَدَ صُنْدُوقًا بِهِ أَدَوَاتُ نِجَارَةٍ :
مِطْرَقَةٌ ، وَكَمِيَّةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْمَسَامِيرِ ، وَمِنْشَارٌ ، وَسِكِّينٌ كَبِيرَةٌ ،
وَعَدَدٌ مِنَ السَّكَاكِينِ الصَّغِيرَةِ ، وَبَعْضُ الْأَشْيَاءِ الْآخَرَى .

كَانَ الصُّنْدُوقُ ثَقِيلًا جِدًّا ، لَكِنْ فَرْتَزُ سَاعَدَ أَخَاهُ فِي حَمَلِهِ إِلَيْنَا .

أما جاك ، ابني الثالث ، فقد فتح باب عُرْفَةِ الرُّبَانِ ، فقفز ناحيته كلبان كبيران أليفان ، فقادهما إلينا بسهولة .

وأخيراً عادت زوجتي ومعها الابن الأصغر فرانسيس ، وأخبرتني بما وجدت قائلة : « لقد وجدت بقرة ، وحماراً ، ومعزاً وخروفين ، وبضع دجاجات ، وعدداً من البط . »

قلت : « ستكون كل هذه الأشياء مفيدة ما عدا الكلبين ، فسيأكلان كثيراً جداً . »

قال جاك : « ولكنهما ، يا أبي ، سيساعداننا في قنص الحيوانات اللازمة لطعامنا ، عندما نصِلُ إلى الشاطئ . »

قلت : « هذا صحيح ، لكننا لم نصِلْ بعدُ إلى الشاطئ . يجب أن نفكر في طريقة نصِلُ بها إلى هناك . لا بد من صنع قارب أو زورق . هيا نحضر عدداً من البراميل ، وبعض ألواح الخشب . »

وانهمكنا في العمل ، إلى أن صنعنا قارباً . وكان ثَقِيلَ الوزنِ جداً . وصنعنا صارياً وشراعاً ، كما وجدنا بعض المجاديف .

قلت : « سترفع الصاري ، بعد أن ننزل القارب في الماء . »

سألني فرتر : « ولكن كيف ننزله في الماء ؟ »

أجبت : « يجب أن نضع تحته أشياء يمكن أن ينزلق فوقها ، حتى يصل إلى الماء - أشياء أسطوانية الشكل ، قد تكون أعمدة خشبية أو حديدية . »

وأخيراً تم إعداد كل شيء . وربطت حبلأ طويلاً إلى القارب الذي صنعناه ، ثم ربطت طرفه الآخر بالسفينة ، حتى لا تحمل الأمواج قاربنا بعيداً ، ثم تناولنا الطعام ، واستغرقتنا جميعاً في نوم هادئ .

الفصل الثاني

الجزيرة

اسْتَيْقَظْنَا مَعَ شُرُوقِ الشَّمْسِ ، وَقُلْتُ لِأَوْلَادِي : « فِي الْبِدَايَةِ ،
يَجِبُ تَقْدِيمُ الطَّعَامِ إِلَى الْحَيَوَانَاتِ . وَأَرْجُو أَنْ نَسْتَطِيعَ الْعُودَةَ فِيمَا
بَعْدَ إِلَى السَّفِينَةِ ، لِاصْطِحَابِ تِلْكَ الْحَيَوَانَاتِ إِلَى الشَّاطِئِ . أَمَّا الْآنَ
فَعَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ يُمَكِّنُ أَنْ يُفِيدَنَا عَلَى الْيَابِسَةِ . »

ثُمَّ جَمَعْنَا الْبَنَادِقَ وَالْبَارُودَ وَالطَّلِقَاتِ ، وَحَمَلْتُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا
كَيْسًا مَمْلُوءًا بِالطَّعَامِ ، كَمَا أَخَذْنَا بَعْضُ أَوْعِيَةِ الطَّهْنِيِّ ، وَالْمِنْشَارِ
وَالْمَسَامِيرِ وَالسَّكَاكِينِ وَالْفُتُوسَ ، وَأَخَذْنَا قُمَاشَ أَشْرَعَةٍ لِنَصْنَعَ مِنْهُ
خَيْمَةً ، وَشِرَاعًا لِلْقَارِبِ . وَأَخَذْنَا أَيْضًا الدَّجَاجَاتِ ، وَقُلْتُ : « أَمَّا
الْبَطُّ وَالْكَلْبَانِ ، فَيُمْكِنُ أَنْ تَسْبَحَ خَلْفَ الْقَارِبِ . »

وَفِي اللَّحْظَةِ الْأَخِيرَةِ ، ظَهَرَتْ زَوْجَتِي تَحْمِلُ كَيْسًا كَبِيرًا ،
لَكِنِّي لَمْ أَسْأَلْهَا مَا الَّذِي بِدَاخِلِهِ .

فِي الْبِدَايَةِ ، أَخَذَ الْقَارِبُ يَدُورَ حَوْلَ نَفْسِهِ ، لَكِنْ بَعْدَ عِدَّةٍ
مُحَاوَلَاتٍ ، اسْتَطَعْتُ أَنْ أَعْرِفَ كَيْفَ أَوْجِهَهُ نَحْوَ الشَّاطِئِ . وَأَثْنَاءَ
اِفْتِرَاقِنَا مِنْهُ ، صَاحَ فَرْتَزُ : « أَنْظَرُوا ، هَا هِيَ ذِي أَشْجَارِ جُوزِ الْهِنْدِ .
سَنَحْصُلُ عَلَى ثَمَارِ جُوزِ الْهِنْدِ لِنَأْكُلَهَا . »

وَكَانَ الْبَطُّ يَسْبَحُ مُتَّجِهًا نَحْوَ خَلِيجٍ صَغِيرٍ ، فَقُلْتُ : « إِنَّهَا
تَعْرِفُ أَفْضَلَ مَكَانٍ يُمَكِّنُ أَنْ نَرْسُوَ فِيهِ ، لِذَلِكَ سَأَتَّبِعُهَا . » وَقَادْنَا
الْبَطُّ إِلَى مَصَبِّ جَدُولٍ ، تَتَدَفَّقُ مِيَاهُهُ إِلَى الْخَلِيجِ الصَّغِيرِ . وَقَفَزَ
الْوَلَدَانِ الْكَبِيرَانِ إِلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ سَاعَدَا جَاكِ وَفِرَانْسِيْسَ حَتَّى
وَصَلَا إِلَى الشَّاطِئِ . وَبَدَأْنَا فِي تَفْرِيفِ حُمُولَةِ الْقَارِبِ مِنْ أَشْيَاءِ
أَحْضَرْنَاهَا مَعَنَا ، وَأَطْلَقْنَا سَرَاحَ الدَّجَاجِ . ثُمَّ قَطَعْتُ بَعْضَ الْأَعْصَانِ
الطَّوِيلَةِ مِنَ الْأَشْجَارِ ، وَبَثَّيْتُهَا فِي الْأَرْضِ ، وَوَضَعْتُ فَوْقَهَا قُمَاشَ
الْأَشْرَعَةِ ، وَأَقَمْتُ خَيْمَةً .

قُلْتُ لِلْأَوْلَادِ : « وَالْآنَ ، هَيَّا اذْهَبُوا لِإِحْضَارِ بَعْضِ الْحَشَائِشِ
الْجَافَةِ ؛ لِنَسْتَخْدِمَهَا فِرَاشًا لَنَا . »

وَبَيْنَمَا هُمْ يَقُومُونَ بِذَلِكَ ، جَمَعْتُ بَعْضَ الْحِجَارَةِ الْكَبِيرَةِ ،
وَأَعْدَدْتُ مَكَانًا نُشْعِلُ فِيهِ بَعْضَ الْأَعْصَانِ الْجَافَةِ . وَأَحْضَرْتُ زَوْجَتِي
وَعَاءَ مَمْلُوءًا بِالمَاءِ مِنَ الْجَدُولِ ، وَوَضَعْتُهُ فَوْقَ النَّارِ ، ثُمَّ أَخَذْتُ فِي

طَهِي وَجْبَةً ، وَ سَاعَدَهَا فِي ذَلِكَ فرانسيس الصَّغِيرُ .

وَحَمَلَ فِرْتَزْ بُنْدَقِيَّةً ، وَأَنْطَلَقَ عَلَى طُولِ مَجْرَى الْجَدُولِ . وَسَارَ
إِرْنَسْتُ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ مُتَّجِهَاً إِلَى الْيَمِينِ ، فِي حِينِ اتَّجَهَ جَاكُ
إِلَى الْيَسَارِ ؛ لِيَبْحَثَا عَنْ الْمَحَارِ . أَمَّا أَنَا فَأَخَذْتُ أَنْقُلُ مَزِيداً مِنْ
الْأَشْيَاءِ الَّتِي بِالْقَارِبِ إِلَى الشَّاطِئِ .

وَ عَادَ إِرْنَسْتُ قَائِلاً : « لَقَدْ وَجَدْتُ أَشْيَاءَ صَالِحَةً لِلْأَكْلِ ،
لَكِنِّي أحتاجُ إِلَى مُسَاعَدَةٍ لِإِحْضَارِهَا . »
سَأَلَتْهُ : « مَاذَا وَجَدْتَ ؟ »

قَالَ : « مَحَاراً . إِنَّهَا مُلْتَصِقَةٌ بِالصُّخُورِ بِشِدَّةٍ ، وَيُمْكِنُ أَنْ نَذْهَبَ
لِإِحْضَارِهَا عَقِبَ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ . »

عِنْدَئِذٍ قَالَتْ زَوْجَتِي : « لَقَدْ فَرَعْتُ مِنْ إِعْدَادِ الطَّعَامِ ، وَلَكِنْ
يَجِبُ الْإِنْتِظَارُ حَتَّى يَعُودَ فِرْتَزْ . »

وَأَلْقَتْ نَظْرَةً عَلَى وَعَاءِ الطَّعَامِ ، وَقَالَتْ : « كَيْفَ سَنَتَنَاوَلُهُ ؟
لَنْ نَسْتَطِيعَ إِخْرَاجَ الْحَسَاءِ بِسِكِّينٍ ! إِنَّا فِي حَاجَةٍ إِلَى مَلَاعِقَ ،
وَلَيْسَ لَدَيْنَا مِلْعَقَةٌ وَاحِدَةٌ . »

قُلْتُ : « إِذَا حَصَلْنَا عَلَى بَعْضِ ثِمَارِ جَوْزِ الْهِنْدِ ، أَمْكَنَّا أَنْ

نَشْقُهَا نَصْفَيْنِ ، وَنَسْتَخْدِمَهَا كَمَلَاعِقَ . »

قَالَتْ زَوْجَتِي : « يُمَكِّنُ أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ ، إِذَا كَانَتْ لَدَيْنَا بَعْضُ
ثِمَارِ جَوْزِ الْهِنْدِ . لَكِنْ لَيْسَ لَدَيْنَا الْآنَ ثَمَرَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْهَا . »
قَالَ إِرْنَسْتُ : « لَدَيْنَا أَصْدَافٌ ، أَوْ سَتَكُونُ لَدَيْنَا أَصْدَافٌ ، إِذَا
أَتَيْتُمْ وَسَاعَدْتُمُونِي فِي إِحْضَارِهَا . »

وَذَهَبَ جَاكُ مَعَ إِرْنَسْتُ لِإِحْضَارِ الْمَحَارِ .
وَسَرَّعَانَ مَا عَادَ فِرْتَزْ ، وَقَدْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ عِلَامَاتُ الْقَلَقِ ،
فَسَأَلَتْهُ : « أَلَمْ تَجِدْ شَيْئاً ؟ »

قَالَ وَهُوَ يَتَظَاهَرُ بِالْأَسْفِ : « نَعَمْ . »
وَ صَاحَ فرانسيس ، وَقَدْ أَسْرَعَ يَقِفٌ خَلْفَ فِرْتَزْ : « بَلْ وَجَدَ .
إِنَّهُ يُخْفِيهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ . » فَضَحِكَ فِرْتَزْ ، وَأَظْهَرَ لَنَا مَا أَحْضَرَهُ .
سَأَلْنَاهُ : « مَا هَذَا ؟ »

أَجَابَنَا : « إِنَّهُ يُشَبِّهُ تَيْسَ الْجَبَلِ شَبْهاً كَبِيراً ، لَكِنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ .
لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَتَحَرَّكُ بَيْنَ الْحَشَائِشِ وَ يَنْبِشُ الْأَرْضَ لِيَسْتَخْرِجَ مِنْهَا طَعَاماً ،
وَ كَانَ يَقَعُدُّ وَيَتَصَرَّفُ كَأَنَّهُ يُنَظِّفُ وَجْهَهُ . »

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، عَادَ إِرْنَسْتُ يَتَّبِعُهُ جَاكُ ، وَقَدْ أَحْضَرَا مَعَهُمَا

بَعْضَ الْمَحَارِ . وَتَنَاوَلَ جَاكَ مَحَارَةً ، وَحَاوَلَ فَتَحَهَا ، وَلَمْ يُفْلِحْ ،
فَقَالَ : « لَا أَسْتَطِيعُ فَتَحَهَا . إِنِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى فَتَحِهَا . »

قُلْتُ : « ضَعِ الْمَحَارَةَ قُرْبَ النَّارِ ، تَنْفَتَحُ بِغَيْرِ مَجْهُودٍ مِنْكَ . »

وَجَلَسْنَا نَأْكُلُ طَعَامَنَا ، وَبَدَأْنَا بِالْمَحَارِ حَتَّى يُمْكِنَنَا اسْتِخْدَامُ
الْأَصْدَافِ كَمَلَاعِقَ نَتَنَاوَلُ بِهَا بَقِيَّةَ أَصْنَافِ الطَّعَامِ .

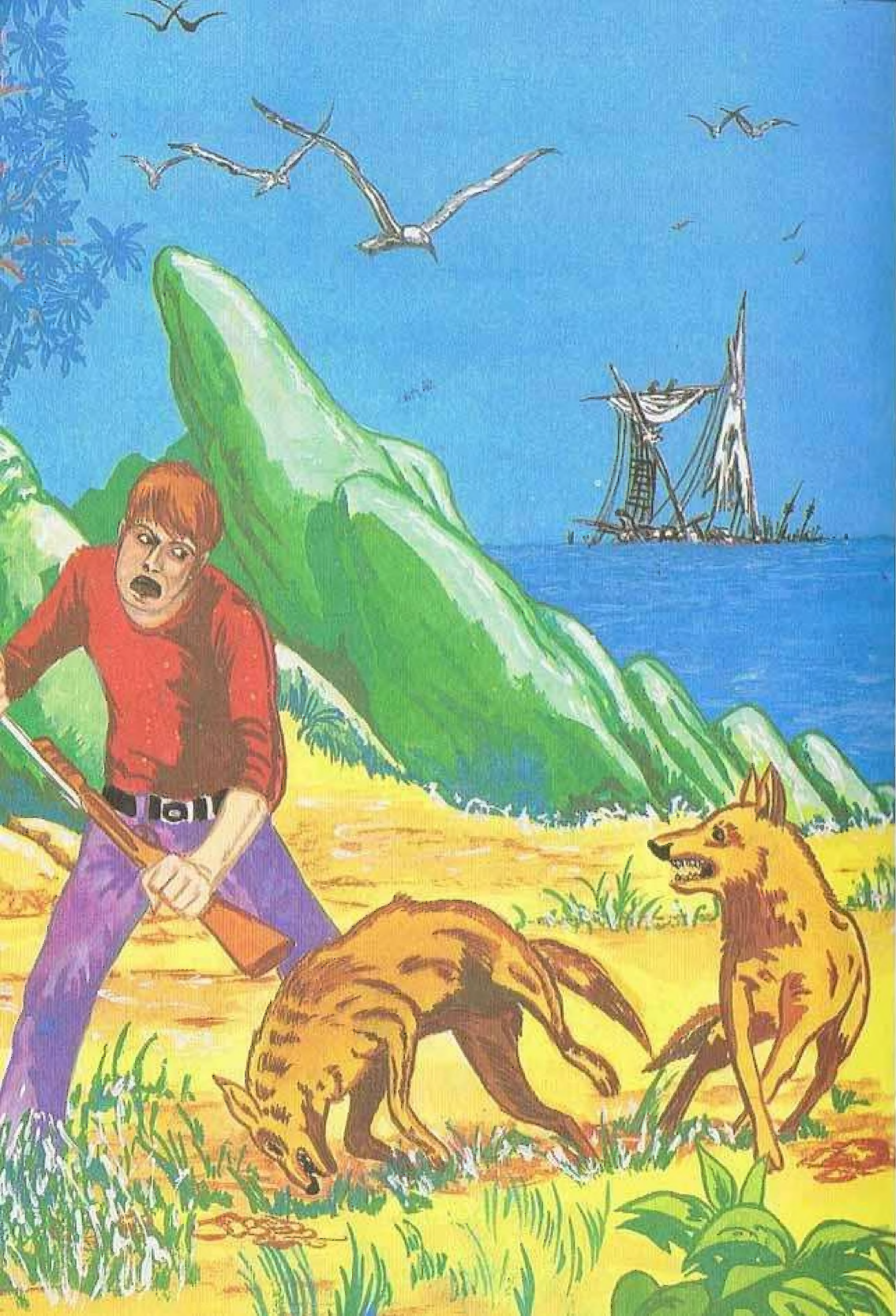
قَالَتْ زَوْجَتِي : « لَيْسَ لَدَيْنَا أَطْبَاقٌ ! »

قَالَ إِرْنَسْتُ ، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْنَا صَدَقَةً كَبِيرَةً جِدًّا ، وَجَدَهَا عَلَى
الشَّاطِئِ : « عِنْدِي طَبَقٌ ، وَثَمَّةٌ كَمِّيَّاتٌ كَبِيرَةٌ مِثْلُهَا فِي الْمَكَانِ
الَّذِي وَجَدْتُ بِهِ هَذِهِ . »

قُلْتُ لَهُ : « لِمَاذَا إِذَا لَمْ تُفَكِّرْ فِي الْآخَرِينَ ، فَتُحْضِرُ أَطْبَاقًا لَنَا
جَمِيعًا ؟ أَعْطِ هَذِهِ الصَّدَقَةَ لِلْكَلْبَيْنِ ، وَتَنَاوَلْ طَعَامَكَ مِنَ الْوَعَاءِ
مُبَاشَرَةً مِثْلَ الْبَاقِينَ . »

وَالْتَهَمَ الْكَلْبَانِ طَعَامَهُمَا بِسُرْعَةٍ ، لَكِنَّهُمَا لَمْ يَشْبَعَا ، وَاقْتَرَبَا
مِنَا أَثْنَاءَ تَنَاوُلِنَا الطَّعَامَ ، وَعِنْدَمَا تَنَبَّهَ فَرِئَزُ إِلَيْهِمَا ، غَضِبَ وَضَرَبَ
الْكَلْبَيْنِ بِمَوْخَرَةِ الْبُنْدُقِيَّةِ بِشِدَّةٍ ، حَتَّى إِنَّهُ كَسَرَ جُزْءًا مِنْهَا .

قُلْتُ لَهُ : « فَرِئَزُ ، إِنَّكَ أَكْبَرُ إِخْوَتِكَ ، وَبَقِيَّةُ الْأَوْلَادِ يُتَابِعُونَ



تَصْرَفَاتِكَ وَيَقْلُدُونَكَ . لَقَدْ شَهِدْتُكَ وَأَنْتَ تَغْضَبُ بِغَيْرِ سَبَبٍ ،
وَتُؤْذِي الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي لَمْ تَقْصِدِ ارْتِكَابَ أَيِّ خَطَا .

قال : « أنا آسِفٌ يا والدي ! أرجو أن تُسامِحَنِي . »

وَتَنَاوَلَ قِطْعَةً خُبْزٍ فِي كُلِّ يَدٍ مِنْ يَدَيْهِ ، وَسَرَّعَانَ مَا عَادَ
وَالْكَلْبَانِ يَتَّبِعَانِهِ .

كَانَتِ الشَّمْسُ تَمِيلُ إِلَى الْغُرُوبِ ، عِنْدَمَا انْتَهَيْنَا مِنْ طَعَامِنَا .
وَفَتَحَتِ زَوْجَتِي الْكِيسَ الَّذِي أَحْضَرْتَهُ مَعَهَا مِنَ السَّفِينَةِ ، وَمَلَأَتْ
قُبْضَتَيْهَا بِالْقَمْحِ ، وَالْقَتْ بِهِ إِلَى الدَّجَاجِ ، فَطَلَبَتْ مِنْهَا أَنْ
تَتَوَقَّفَ عَنْ ذَلِكَ .

وَقُلْتُ : « كَمْ أَنَا سَعِيدٌ ؛ لِأَنَّكَ أَحْضَرْتَ هَذَا الْقَمْحَ . إِنَّهُ
تَصْرَفٌ حَكِيمٌ جِدًّا ، لَكِنْ يَجِبُ أَلَّا نَطْعِمَهُ لِلدَّجَاجِ ، وَعَلَيْنَا أَنْ
نَسْتَخْدِمَهُ كَبُذُورٍ ، وَأَنْ نَزْرِعَهُ لِنَصْنَعَ مِنْهُ الْخُبْزَ . أَمَّا الدَّجَاجُ ،
فَيُمْكِنُهُ الْاعْتِمَادُ عَلَى طَعَامٍ آخَرَ . »

وَكَانَتِ الدَّجَاجَاتُ قَدْ قَفَزَتْ فَوْقَ الْخِيْمَةِ ، فِي حِينَ انْطَلَقَ الْبَطُّ
بَيْنَ الْحَشَائِشِ الطَّوِيلَةِ ، الَّتِي تَنْمُو عَلَى حَافَةِ الْجَدُولِ . وَحَشَوْنَا
بِنَادِقُنَا وَأَعَدَدْنَاهَا لِلْإِطْلَاقِ ، وَوَضَعْنَاهَا بِجَوَارِنَا ، ثُمَّ أَدِينَا الصَّلَاةَ
وَدَخَلْنَا الْخِيْمَةَ .

الفصل الثالث

العُثُورُ عَلَى أَشْيَاءٍ نَافِعَةٍ

اسْتَيْقَظْنَا مُبَكَّرِينَ جِدًّا ، فَقَدْ أَيْقَظَنَا الْبَطُّ وَالِدُجَاجُ .

قُلْتُ : « يَجِبُ أَنْ نَبْدَأَ الْبَحْثَ ؛ لِنَعْرِفَ مَا إِذَا كَانَ أَحَدُ بَحَارَةِ
السَّفِينَةِ قَدْ وَصَلَ إِلَى الْبَرِّ . »

قَالَتْ زَوْجَتِي : « لَا يَحْتَاجُ الْأَمْرُ إِلَى ذَهَابِنَا جَمِيعًا . خُذْ مَعَكَ
فِرْتَزَ ، وَسَانْتَظِرْ هُنَا مَعَ الْبَاقِينَ . »

أَجَبْتُهَا : « أَوَافِقُكَ ، وَسَنْصُطِحُ مَعَنَا هَذَا الْكَلْبَ « طِرْك » ،
وَنَتْرُكُ الْكَلْبَةَ « فِلُورَا » . »

وَأَعْطَتْ زَوْجَتِي لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا كَيْسًا بِهِ طَعَامٌ ، ثُمَّ بَدَأْنَا
رَحَلَتَنَا ، فَأَنْطَلَقْنَا عَلَى طُولِ شَاطِئِ الْبَحْرِ ، نَبْحَثُ عَنْ آثَارِ أَقْدَامِ
فَوْقَ الرَّمَالِ ، لَكِنَّا لَمْ نَجِدْ شَيْئًا .

وَكَانَ فَرْتَزُ قَدْ أَحْضَرَ مَعَهُ بُنْدُقِيَّةً أُخْرَى بَعْدَ أَنْ كَسَرَ بُنْدُقِيَّتَهُ .
قَالَ : « هَلْ أَطْلُقُ طَلْقَةً مِنَ الْبُنْدُقِيَّةِ ؛ فَإِذَا كَانَ ثُمَّ شَخْصٌ فِي مَكَانٍ
قَرِيبٍ فَإِنَّهُ سَيَسْمَعُ الطَّلْقَةَ ، وَيَأْتِي إِلَيْنَا ؟ »

قُلْتُ : « لَا ، قَدْ يَسْمَعُهَا آخَرُونَ أَيْضًا ، وَقَدْ يَكُونُ هُنَاكَ سُكَّانٌ
مُتَوَحِّشُونَ فَوْقَ الْجَزِيرَةِ ، وَمِنْ الْخَطَرِ أَنْ نُنَبِّهَهُمْ إِلَى وُجُودِنَا . »

وَابْتَعَدْنَا عَنِ الشَّاطِئِ ، وَبَعْدَ أَنْ سَرْنَا حَوَالِي مِيلٍ وَصَلْنَا إِلَى
غَابَةِ صَغِيرَةٍ . وَفِي كُلِّ خُطْوَةٍ كُنَّا نَرَى نَوْعًا جَدِيدًا وَجَمِيلًا مِنَ
النَّبَاتِ .

سَأَلَنِي فَرْتَزُ : « مَا هَذَا النَّبَاتُ الْغَرِيبُ ، الَّذِي تَنْمُو مِنْهُ تِلْكَ
الْأَشْيَاءُ كَبِيرَةُ الْحَجْمِ ؟ »

قُلْتُ : « إِنَّهَا أَشْيَاءٌ مُفِيدَةٌ جِدًّا ؛ فَهِيَ ثِمَارُ الْقَرَعِ . »

وَأَخَذْنَا بَعْضَ تِلْكَ الثَّمَارِ ، وَشَقَقْنَاهَا .

قُلْتُ : « وَالْآنَ ، يَجِبُ أَنْ نُزِيلَ لِبُهَا الطَّرِيَّ ، وَنَتْرِكَ الْقِشْرَةَ
الْخَارِجِيَّةَ لِتَجِفَّ فِي الشَّمْسِ ، وَعِنْدَئِذٍ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَصْنَعَ مِنْهَا
مَلَاعِقَ وَأَطْبَاقًا وَأَوْعِيَةً لِلطَّهْنِ ، فَهَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا
النَّاسُ ، مِمَّنْ لَا يَعْرِفُونَ الْحَدِيدَ أَوْ غَيْرَهُ مِنَ الْمَعَادِنِ ، فِي صَنْعِ

هَذِهِ الْأَشْيَاءِ . إِنَّهُمْ يَصْنَعُونَهَا مِنْ نَبَاتِ الْقَرَعِ . »

قَالَ : « لَسْتُ أَفْهَمُ كَيْفَ يُمَكِّنُ صُنْعُ وَعَاءٍ لِلطَّبْخِ مِنَ
الْقَرَعِ ، الَّذِي إِذَا وَضَعْتَهُ فَوْقَ النَّارِ احْتَرَقَ . »

قُلْتُ : « لَكِنَّهُمْ لَا يَضَعُونَهُ فَوْقَ النَّارِ . إِنَّهُمْ يَمْلِكُونَ نَبَاتَ
الْقَرَعِ الْجافِّ بِالماءِ ، ثُمَّ يَضَعُونَ فِي المَاءِ حَجَرًا سَاحِنًا فَيَغْلِي . »

وَشَقَقْنَا بَعْضَ ثِمَارِ الْقَرَعِ ، وَصَنَعْنَا مِنْهَا مَلَاعِقَ وَأَطْبَاقًا ،
وَتَرَكْنَاهَا فِي الشَّمْسِ لِتَجِفَّ ، ثُمَّ وَضَعْنَا عَلَامَاتٍ تُسَاعِدُنَا عَلَى
الاهْتِدَاءِ إِلَى الْمَكَانِ ، حَتَّى يُمَكِّنَنَا الْعُودَةُ فِيمَا بَعْدَ وَاسْتِرْدَادِهَا .

وَوَصَلْنَا السَّيْرَ ، حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى قِطْعَةٍ أَرْضٍ تُغَطِّيهَا أَعْشَابٌ
طَوِيلَةٌ جِدًّا ، يَتَجَاوَزُ ارْتِفَاعُهَا رُعُوسَنَا .

قُلْتُ لِنَفْسِي : « تَرَى ، أَيْنَ شَاهَدْتُ مِثْلَ هَذَا النَّبَاتِ مِنْ قَبْلُ ؟
هَلْ كَانَ ذَلِكَ فِي صُورَةٍ ؟ »

وَكَانَ لَا بُدَّ أَنْ نَشُقَّ طَرِيقَنَا وَسَطَ تِلْكَ الْأَعْشَابِ ، فَأَصْبَحَتْ
يَدَايَ لَزَجَتَيْنِ ، وَعِنْدَمَا لَامَسَتْ يَدَيَّ قَمِي ، تَذَكَّرْتُ !

قُلْتُ : « هَيَّا ، يَا فَرْتَزُ ، اقْطَعْ وَاحِدًا مِنْ هَذَا الْعُشْبِ ، وَبَعْدَ
إِزَالَةِ قِشْرَتِهِ الْخَارِجِيَّةِ ، حَاولُ أَنْ تَمْتَصَّ عُصَارَةَ اللَّبِّ الدَّاخِلِيِّ

قال فرترز : « وَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ نَسْتَفِيدَ مِنْ قِرْدٍ ؟ »

عِنْدَيْدِ جَمَعْتُ بَعْضَ الْأَحْجَارِ ، وَقَدَفْتُ بِهَا الْقُرُودَ ، فَقَدَفْتَنِي
بِشِمَارِ جَوْزِ الْهِنْدِ ! فَقُلْتُ ، وَأَنَا أَلْتَقِطُ بَعْضَ ثِمَارِ الْجَوْزِ لِأَحْمِلُهَا
مَعِيَ عِنْدَ الْعَوْدَةِ إِلَى الْأُسْرَةِ : « هَا أَنْتَ ذَا تَرَى أَنْ قِرْدًا غَاضِبًا
يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ نَافِعًا جِدًّا ! »

وَأَثْنَاءَ اقْتِرَابِنَا مِنْ عَدَدٍ آخَرَ مِنْ أَشْجَارِ جَوْزِ الْهِنْدِ ، كَانَ الْكَلْبُ
طَرِكَ قَدْ سَبَقْنَا ، وَسَمِعْنَا صِيْحَاتِ أَلَمٍ وَغَضَبٍ صَادِرَةً عَنِ الْقُرُودِ
الَّتِي كَانَتْ فَوْقَ الْأَشْجَارِ . وَبَيْنَمَا نَحْنُ فِي طَرِيقِنَا وَجَدْنَا طَرِكَ قَدْ
أَمْسَكَ بِأَحَدِ الْقُرُودِ ، وَجَرَى فَرْتَزُ لِيَنْقِذَهُ ، لَكِنَّهُ وَصَلَ مُتَأَخِّرًا ؛ فَقَدْ
مَاتَ الْقِرْدُ . كَانَتْ أُنْثَى ، وَكَانَ صَغِيرُهَا الرُّضِيعُ مُتَوَارِيًا بَيْنَ
الْحَشَائِشِ يَصْرُخُ مِنَ الْفَزَعِ . وَمَا إِنَّ شَاهِدَ فَرْتَزُ ، حَتَّى قَفَزَ عَلَى
ظَهْرِهِ وَتَشَبَّثَ بِشَعْرِ رَأْسِهِ .

صاح فرترز : « أَبْعِدْهُ عَنِّي ! أَبْعِدْهُ عَنِّي . » وَأَزَحَتْ الْقِرْدُ بِرَفْقٍ
عَنْ ظَهْرِ فَرْتَزُ ، وَاحْتَضَنْتَهُ بَيْنَ ذِرَاعَيْ كَأَنَّهُ طِفْلٌ ، وَعَدْنَا .

وَرَأَتْنَا زَوْجَتِي وَالأَوْلَادَ الثَّلَاثَةَ وَنَحْنُ نَتَقَدَّمُ نَاحِيَتَهُمْ ، فَأَسْرَعُوا
يَجْرُونَ لِمُلَاقَاتِنَا . وَكَمْ كَانَتْ سَعَادَتُهُمْ بِرُؤْيَةِ الْقِرْدِ الصَّغِيرِ !

سألوا : « مَا هَذِهِ الْعِصْيُ الَّتِي مَعَكُمْ ؟ »

وَعِنْدَمَا نَفَذَ نَصِيحَتِي ، صَاحَ : « إِنَّهُ حُلُوُّ الْمَذَاقِ ، كَأَنَّهُ سُكَّرٌ ! »
قُلْتُ : « أَجَلٌ ، هُوَ سُكَّرٌ ، وَهَذَا هُوَ قَصَبُ السُّكَّرِ ، النَّبَاتُ
الَّذِي نَحْصُلُ مِنْهُ عَلَى السُّكَّرِ . هِيََا نَأْخُذْ بَعْضَهُ مَعَنَا ؛ فَكَمْ سَتَكُونُ
سَعَادَةً بَقِيَّةِ أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ وَدَهْشَتَهُمْ لِعُثُورِنَا عَلَيْهِ ! »

وَوَاصَلْنَا السَّيْرَ ، فَوَجَدْنَا أَمَامَنَا كَثِيرًا مِنْ أَشْجَارِ جَوْزِ الْهِنْدِ .
وَعِنْدَمَا تَقَدَّمْنَا رَأَيْنَا عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ الْقُرُودِ عَلَى الْأَرْضِ قُرْبَ
الأَشْجَارِ ، وَقَدْ رَأَيْنَا قَبْلَ أَنْ نَقْتَرِبَ مِنْهَا ، فَأَسْرَعَتْ تَتَسَلَّقُ الْأَشْجَارَ ،
وَهِيَ تُطْلِقُ صِيْحَاتِ الْغَضَبِ .

وَرَفَعَ فَرْتَزُ بُنْدُقِيَّتَهُ ؛ فَصِيَحَتْ فِيهِ : « تَوَقَّفْ ! لِمَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَ
وَاحِدًا مِنْ هَذِهِ الْقُرُودِ ؟ »

قال : « لِأَنَّهَا تُصْدِرُ ضِدْنًا كُلَّ هَذِهِ الضَّجَّةِ الْقَبِيحَةِ الْغَاضِبَةِ .
إِنَّهَا مَخْلُوقَاتٌ لَا نَفْعَ مِنْهَا ! »

قُلْتُ : « بَلْ لَعَلَّهَا تَضْحَكُ سَاحِرَةً مِنْكَ ! لِمَاذَا يَنْتَابُكَ كُلُّ هَذَا
الْغَضَبِ ؟ إِنَّهَا عَلَى حَقٍّ عِنْدَمَا تَضْحَكُ سَاحِرَةً مِنْ صَبِيٍّ غَاضِبٍ ،
كَمَا أَنَّهَا لَيْسَتْ عَدِيمَةُ النَّفْعِ . »

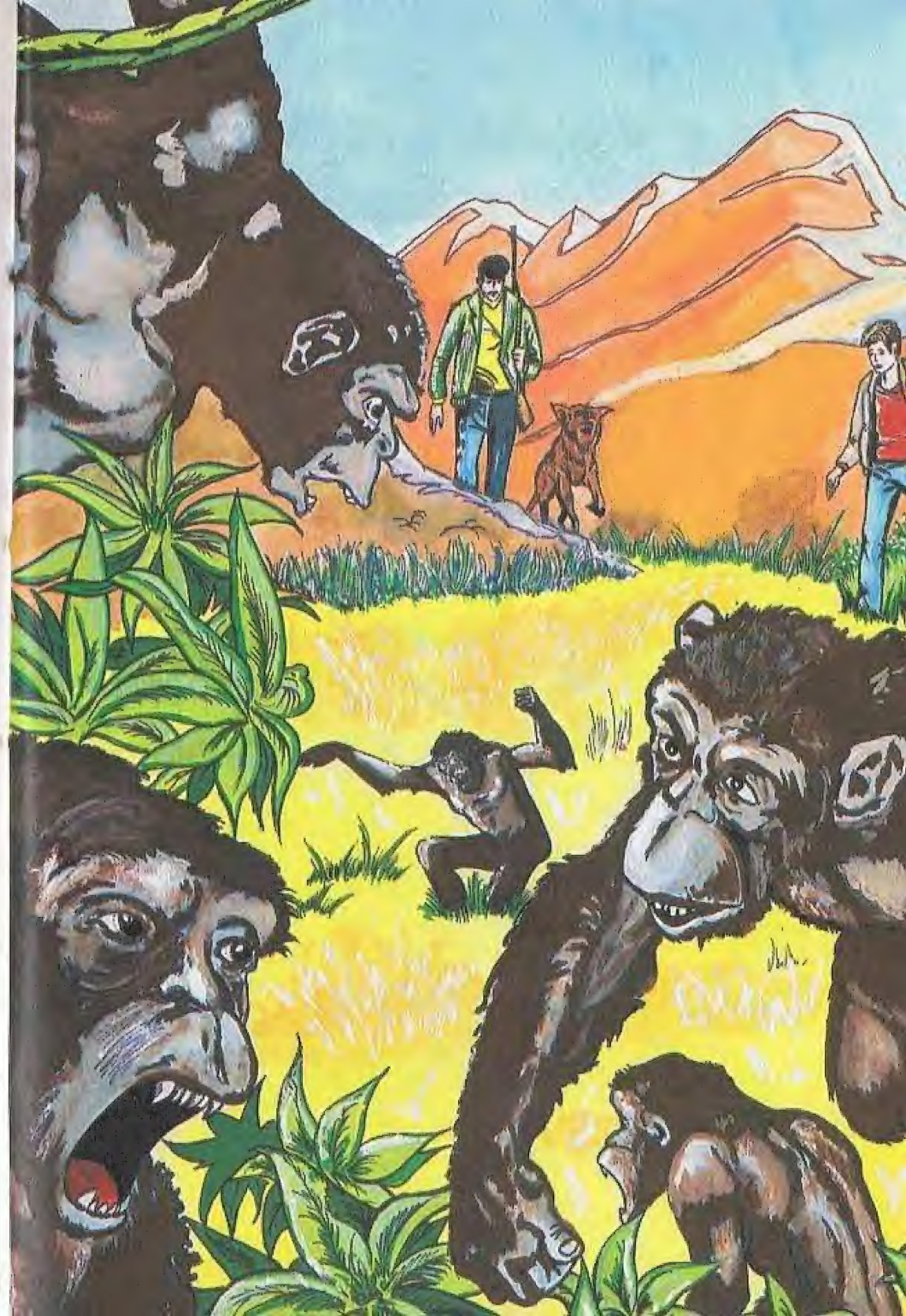
قال فرتر : « إنها طعام لكم ! »

وعندما وصلنا الخيمة ، وجدنا طعاماً جِداً شهياً في انتظارنا .
كانت ثمة أنواعٌ متعددةٌ من السمك تُشوى على جانبٍ من النار ،
في حين يُشوى طائرٌ على الجانب الآخر . كان فرانسيس هو الذي
اصطاد السمك ، وأمسك إرنست بالطائر .

قال إرنست : « لست أعرف ما هو هذا الطائر ، ولكن يبدو
أنه شديد الغباء ؛ فقد تركني أقترُب منه كثيراً ، حتى ضربته
بعضاي . »

وكان السمك شهياً المذاق ، لكننا لم نقبل مذاق طائر
إرنست ؛ فقد وجدناه يشبه مذاق السمك .

وانتهينا من طعامنا مع غروب الشمس ، وقفزت الدجاجات فوق
الخيمة ، على حين ذهب البط إلى الحشائش قرب مجرى
الجدول ، وأخذ فرتر القرد لينام بالقرب منه .



سَيَتَغَيَّرُ فِيهِ اتِّجَاهُ الرِّيحِ ؟ هَلْ يَجِبُ أَنْ نَنْتَظِرَ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ حَتَّى
يَتَغَيَّرَ ؟»

قُلْتُ : « لا ، سَنَنْتَظِرُ فَقَطْ حَتَّى حُلُولِ الْمَسَاءِ . فَعِنْدَمَا جِئْنَا
إِلَى الْبَرِّ ، كَانَ ذَلِكَ فِي فِتْرَةٍ مَا بَعْدَ الظُّهْرِ ، وَالْأَرْضُ سَاخِنَةً ، فَكَانَ
الْهَوَاءُ يَرْتَفِعُ صَاعِدًا مِنَ الْيَابِسِ ، فِي حِينٍ كَانَ الْهَوَاءُ الْبَارِدُ يَهْبُ
مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْيَابِسِ لِيَحُلَّ مَحَلَّ الْهَوَاءِ السَّاخِنِ . لَكِنَّ الْبَحْرَ
يَحْتَفِظُ بِحَرَارَتِهِ وَفَتًا أَطْوَلَ مِنَ الْيَابِسِ ، فَالْيَابِسُ يَكْتَسِبُ الْحَرَارَةَ
وَيَفْقِدُهَا أَسْرَعَ مِمَّا يَحْدُثُ مَعَ مَاءِ الْبَحْرِ ؛ لِهَذَا فَإِنَّهُ ، أَثْنَاءَ اللَّيْلِ ،
يَكُونُ الْبَحْرُ أَكْثَرَ دِفْئًا مِنَ الْبَرِّ ، فَيَهْبُ الْهَوَاءُ مِنَ الْيَابِسِ إِلَى
الْبَحْرِ .»

التَفْتُ إِلَى زَوْجَتِي قَائِلًا : « يَجِبُ أَنْ نَبْدَأَ إِبْحَارَنَا فِي نِهَائَةِ
النَّهَارِ ، ثُمَّ نَبْقَى عَلَى السَّفِينَةِ خِلَالَ اللَّيْلِ . أَطْلُبِي مِنْ إِرْنِسْت أَنْ
يَتَسَلَّقَ تِلْكَ الشَّجَرَةَ الْعَالِيَةَ ، وَأَنْ يَرْتَبِطَ فِيهَا قِطْعَةً قُمَاشٍ كَانَتْهَا
رَايَةً . وَإِذَا تَعَرَّضْتُمْ هُنَا لِأَيَّةِ أخطارٍ ؛ أَنْزِلُوا الرَّايَةَ .»

قَالَتْ زَوْجَتِي : « وَعَلَيْكُمْ أَنْ تُضِيئُوا نُورًا فِي السَّفِينَةِ ؛ حَتَّى
أَعْرِفَ أَنَّكُمْ وَصَلْتُمْ بِسَلَامٍ .»

الفصل الرابع العودة إلى السفينة

اسْتَيْقَظْتُ وَاسْتَدْعَيْتُ زَوْجَتِي ، وَقُلْتُ لَهَا : « أَمَامَنَا أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ
لَا بُدَّ مِنْ إِنْجَازِهَا ، وَمِنَ الصَّعْبِ أَنْ نُحَدِّدَ مَا الَّذِي نَبْدَأُ بِهِ .»

قَالَتْ : « أَوَّلُ مَا يَجِبُ الْقِيَامُ بِهِ أَنْ نَذْهَبَ إِلَى السَّفِينَةِ ؛
لِإِحْضَارِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي بِهَا . إِذْهَبْ أَنْتَ وَفِرْتَز ، أَمَّا أَنَا وَالْباقُونَ ،
فَسَنَبْحَثُ عَنْ مَكَانٍ نَقِيمُ فِيهِ بَيْتًا .»

قَالَ فِرْتَز : « كَيْفَ يُمْكِنُنَا الْوُصُولُ إِلَى السَّفِينَةِ ؟ عِنْدَمَا جِئْنَا
إِلَى الْبَرِّ ، سَاعَدَتُنَا الرِّيحُ عَلَى ذَلِكَ ، لَكِنَّنَا لَا نَسْتَطِيعُ الْإِبْحَارَ
بِالْقَارِبِ ضِدَّ اتِّجَاهِ الرِّيحِ .»

قُلْتُ : « لَكِنَّ اتِّجَاهَ الرِّيحِ يَتَغَيَّرُ ، يَا فِرْتَز .»

قَالَ : « هَذَا صَحِيحٌ ، يَا وَالِدِي ، لَكِنَّ كَيْفَ نَعْرِفُ الْوَقْتَ الَّذِي

أَجَبْتُ : « سَنَفَعَلُ ذَلِكَ . »

وَأَنْتَظَرُنَا حُلُولَ الْمَسَاءِ ، وَوَصَلْنَا السَّفِينَةَ بِسُهُولَةٍ بِالْغَةِ ، فَوَجَدْنَا
الْحَيَوَانَاتِ فِي صِحَّةٍ جَيِّدَةٍ ، وَأَمَامَهَا طَعَامٌ كَافٍ . وَأَضَاءَتْ نُورًا كَمَا
وَعَدَتْ زَوْجَتِي ، ثُمَّ تَنَاوَلْنَا بَعْضَ الطَّعَامِ ، وَذَهَبْنَا لِنَنَامَ .

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي ، اسْتَيْقَظْنَا مُبَكَّرِينَ ، وَجَمَعْنَا الْأَشْيَاءَ
الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ ذَاتَ فَائِدَةٍ لَنَا عَلَى الْبَرِّ .

قَالَ فَرْتَز : « يَجِبُ أَنْ تَتَوَافَرَ لَدَيْنَا كَمِّيَّاتٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْبَارودِ
وَالطَّلَقَاتِ ؛ حَتَّى نَكُونَ فِي أَمَانٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْمُفْتَرِسَةِ ، أَوْ أَيْ
عَدُوٍّ آخَرَ . وَفِيمَا بَعْدُ سَنَحْتَاجُ إِلَيْهَا . »

قُلْتُ : « عَلَيْنَا أَنْ نُفَكِّرَ فِي الْحَاضِرِ ، وَفِيمَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْآنَ ؛
لِنَسْتَخْدِمَهُ فِي الْأَيَّامِ أَوْ الْأَسَابِعِ الْقَلِيلَةِ الْقَادِمَةِ . يَجِبُ أَنْ نَأْخُذَ
مَزِيدًا مِنْ قُمَاشٍ الْأَشْرَعَةِ . »

قَالَ فَرْتَز : « لَقَدْ رَأَيْتُ بِرُمِيلاً مِنَ الزُّبْدِ . وَهُنَاكَ أَيْضًا مَخْزُونُ
السَّفِينَةِ مِنَ الْخُبْزِ وَالْمِلْحِ وَاللَّحْمِ ، إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَاءُ قَدْ أَفْسَدَهَا .
لَكِنْ مَاذَا سَنَصْنَعُ عِنْدَمَا نَسْتَهْلِكُ الْخُبْزَ ، أَوْ يَفْسُدُ الزُّبْدُ ؟ »

قُلْتُ : « دَعْنَا نُفَكِّرْ فِيمَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْآنَ . إِنَّ لَدَيْنَا مَا يَكْفِي

مِنَ الْمَشَاكِلِ لِنُفَكِّرَ فِي حَلِّهَا ، مِنْ دُونِ التَّفَكِيرِ فِي مَشَاكِلَ قَدْ
تَنَشَأُ فِيمَا بَعْدُ ؛ فَقَدْ تَأْتِي سَفِينَةٌ وَتُنْقِذُنَا . »

لَكِنِّي كُنْتُ مُخْطِئًا ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ نَكُونَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ دَائِمٍ
لِمُوَاجَهَةِ احْتِمَالَاتِ الْمُسْتَقْبَلِ كَافَّةً .

وَقَدْ اسْتَعْرَقَ جَمْعُ الْأَشْيَاءِ يَوْمًا كَامِلًا ، وَكَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَقْضِيَ
لَيْلَةً أُخْرَى فَوْقَ السَّفِينَةِ .

اسْتَيْقَظْنَا فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي مُتَأَخِّرِينَ ، وَأَعَدَّ لَنَا فَرْتَزُ
شَيْئًا أَكَلْنَاهُ فِي الْإِفْطَارِ . وَكُنْتُ قَدْ عَشَرْتُ عَلَى الْمِنْظَارِ الْمُقَرَّبِ
(التَّلِسْكُوبِ) الْخَاصَّ بِالرُّبَّانِ ، وَاسْتَطَعْتُ رُؤْيَةَ زَوْجَتِي وَهِيَ تَخْرُجُ
مِنَ الْخَيْمَةِ ، وَتَنْتَظِرُ فِي اتِّجَاهِ السَّفِينَةِ ، فَأَنْزَلْتُ الْمِصْبَاحَ ، وَرَفَعْتُ
عَلَمًا أَبْيَضَ ؛ لَتَعْرِفَ أَنَّنَا فِي أَمَانٍ .

قُلْتُ ، وَقَدْ جَلَسْنَا لِتَنَاوُلِ الْإِفْطَارِ : « وَالْآنَ ، يَا فَرْتَزُ ، كَيْفَ
يُمْكِنُ أَنْ نَنْقُلَ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ إِلَى الْبَرِّ ؟ »

قَالَ : « لَا يُمْكِنُ أَنْ نَضَعَهَا فِي الْقَارِبِ ؛ فَهِيَ ثَقِيلَةٌ الْوِزْنِ
جِدًّا ؛ فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَصْنَعَ قَارِبًا آخَرَ ؟ أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا لَيْسَ
سَهْلًا ؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ جِدًّا مُتَّسِعًا ؛ فَمَاذَا نَفْعَلُ ؟ إِنَّ الْبَقَرَاتِ

وَالْمَعَزَ وَالْخُرُوفَيْنِ وَالْحِمَارَ لَا يُمْكِنُهَا السَّبَاحَةُ مَسَافَةً طَوِيلَةً .»

قُلْتُ : « إِنَّ السَّفِينَةَ عَلَيْهَا عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْبَرَامِيلِ ، وَهُوَ عَدَدٌ يَكْفِي لِصَنْعِ قَارِبٍ كَبِيرٍ ، وَلَكِنْ الْأَمْرُ يَسْتَعْرِقُ وَقْتًا طَوِيلًا .»

صَاحَ فَرْتَزُ : « الْبَرَامِيلُ ! لِمَاذَا لَا نَصْنَعُ لِكُلِّ حَيَوَانٍ طَوْفَهُ ؟ يُمْكِنُنَا رِبْطُ عَدَدٍ مِنَ الْبَرَامِيلِ إِلَى كُلِّ حَيَوَانٍ ، فَيُسَاعِدُهُ عَلَى الْبَقَاءِ طَافِيًا فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ ، ثُمَّ نَجُرُّ الْحَيَوَانَاتِ خَلْفَ الْقَارِبِ .»

قُلْتُ : « اقْتِرَاحٌ وَجِيهٌ ، وَقَدْ يَنْجَحُ . هَيَّا نَبْدَأْ بِتَجْرِبَتِهِ ، فَتَنْفِذُهُ مَعَ حَيَوَانٍ وَاحِدٍ ، وَنَرَى النَّتِيجَةَ .»

وَقُمْنَا بِتَثْبِيتِ بَرَمِيلَيْنِ إِلَى جَانِبَيْ خُرُوفٍ ، ثُمَّ وَضَعْنَاهُ فِي الْمَاءِ ، وَسَرَعَانَ مَا غَاصَ ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ لَنْ يَطْفُو ثَانِيَةً أَبَدًا ، لَكِنِّي رَأَيْتُ رَأْسَهُ يَظْهَرُ آخِرًا فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ ، وَبَدَأَ يَسْبَحُ . وَعِنْدَمَا أَصَابَهُ التَّعَبُ تَوَقَّفَ عَنِ السَّبَاحَةِ ، وَظَلَّ فِي مَكَانِهِ طَافِيًا بِمُسَاعَدَةِ الْبَرَمِيلَيْنِ . وَقَفَزَ فَرْتَزُ إِلَى الْمَاءِ ، وَرَبَطَ حَبْلًا حَوْلَ الْخُرُوفِ ، فَاسْتَطَعْنَا اسْتِعَادَتَهُ إِلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ . وَقَرَّرْنَا تَثْبِيتَ الْبَرَامِيلِ إِلَى ظُهْرِ كُلِّ الْحَيَوَانَاتِ ، فَظَلَلْنَا نَعْمَلُ عَمَلًا مُتَوَاصِلًا . وَقَدْ ظَنَّنَا فِي الْبِدَايَةِ تَعَذُّرَ التَّنْفِذِ ، وَلَكِنْ تَوَاجَهْنَا الْمَتَاعِبُ إِلَّا مَعَ الْحِمَارِ .

قَالَ فَرْتَزُ : « قَدْ يَتَعَيَّنُ عَلَيْنَا تَرْكُهُ ؛ إِنَّ الْبَقْرَةَ وَالْمَعَزَ هِيَ مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ بِشِدَّةٍ .» وَكُنَّا قَدْ أَنْتَهَيْنَا مِنْ أَمْرِ الْبَقْرَةِ وَالْمَعَزِ ، فَبَدَأْنَا نَحَاوِلُ مِنْ جَدِيدٍ مَعَ الْحِمَارِ ، وَاسْتَجَابَ لَنَا أَخِيرًا .

وَهَكَذَا اسْتَطَعْنَا فِي النَّهَايَةِ أَنْ نَضَعَ الْحَيَوَانَاتِ كُلَّهَا فِي الْمَاءِ ، ثُمَّ جَمَعْنَا أَطْرَافَ الْحِبَالِ الَّتِي رَبَطْنَاهَا بِهَا ، لِنَجْذِبَهَا مِنْهَا إِذَا احْتِاجَتْ إِلَى مُسَاعَدَةٍ ، ثُمَّ نَزَلْنَا إِلَى الْقَارِبِ ، وَرَفَعْنَا الشَّرَاعَ .

وَكَانَتْ الرِّيحُ تَهْبُ بِشِدَّةٍ ، وَسَرَعَانَ مَا اسْتَطَعْنَا رُؤْيَةَ الْخَلِيجِ الصَّغِيرِ . وَقَطَعْتُ الْحِبَالَ الَّتِي تَرَبَّطُ الْحَيَوَانَاتِ ، فَاسْتَطَاعَتْ أَنْ تَصِلَ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَشَعَرْتُ بِالسَّعَادَةِ ؛ لِتَخْلُصَهَا مِنْ تِلْكَ الْبَرَامِيلِ الَّتِي كَانَتْ تَحْمِلُهَا فَوْقَ ظُهُورِهَا .

وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ مِنْ أَفْرَادِ الْعَائِلَةِ لِاسْتِقْبَالِنَا ، وَأَنْتَابَتُنِي الْحَيْرَةُ ، فَلَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَيْنَ ذَهَبُوا . ثُمَّ شَاهَدْنَاهُمْ يَجْرُونَ نَحْوَنَا ، وَفَرِحَتْ زَوْجَتِي عِنْدَمَا شَاهَدَتْ كُلَّ الْحَيَوَانَاتِ قَدْ وَصَلَتْ سَالِمَةً إِلَى الْبَرِّ .

سَأَلْتُ : « مَا الَّذِي أَوْحَى إِلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْفِكْرَةِ السَّيِّدَةِ ؟ »

أَجَبْتُ : « لَمْ تَكُنْ فِكْرَتِي ، بَلْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَصِلَ إِلَى آيَةِ طَرِيقَةٍ لِنَقْلِهَا . إِنَّهَا فِكْرَةُ فَرْتَزِ .»

أَضَحَمَ أَشْجَارَ شَاهِدَتِهَا فِي حَيَاتِي .

وَ واصلتُ زَوْجَتِي قِصَّتَهَا :

« تَوَقَّفْنَا هُنَاكَ ، وَتَنَاوَلْنَا طَعَامَنَا . لَقَدْ تَبَيَّنَا أَنَّنَا وَصَلْنَا إِلَى أَفْضَلِ
مَكَانٍ يُمَكِّنُ أَنْ نُقِيمَ فِيهِ . هَا أَنْتَ ذَا قَدْ عَرَفْتَ الْآنَ قِصَّتِي ؛ لَقَدْ
ذَهَبْتُ لِأُبَحِّثَ عَنْ مَكَانٍ جَدِيدٍ نَعِيشُ فِيهِ ، وَقَدْ وَجَدْتُهُ . فَإِذَا أَرَدْتُ
أَنْ تُشْعِرَنِي حَقًّا بِالسَّعَادَةِ ؛ فَعَلَيْكَ أَنْ تَعِدَنِي بِأَنْ نَذْهَبَ إِلَى هُنَاكَ ،
وَنُقِيمَ لَنَا مَنْزِلًا فَوْقَ وَاحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ الْأَشْجَارِ الْعِمْلَاقَةِ ! »

قُلْتُ ضَاحِكًا : « مَاذَا ؟ فَوْقَ شَجَرَةٍ ؟ مَنْزِلٌ فَوْقَ شَجَرَةٍ ؟ أَفَهُمْ
أَنْ نَعِيشَ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، لَكِنْ كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ نَصْعَدَ فَوْقَ شَجَرَةٍ ؟
هَلْ سَنَطِيرُ ؟ »

قَالَتْ : « تَسْتَطِيعُ أَنْ تَضْحَكَ كَمَا تَشَاءُ ، لَكِنِّي مُوقِنَةٌ بِأَنَّهُ فِي
اسْتَطَاعَتِنَا بِنَاءَ كُوخٍ صَغِيرٍ بَيْنَ الْأَغْصَانِ ، وَسَنَتَوَصَّلُ إِلَى طَرِيقَةٍ
لِلْوُصُولِ إِلَى ذَلِكَ . »

قُلْتُ : « سَنَذْهَبُ جَمِيعًا فِي الْغَدِ وَنَرَى الْمَكَانَ ، ثُمَّ نَفَكِّرُ فِيمَا
يُمْكِنُ عَمَلُهُ . »

الفصل الخامس

العُثُورُ عَلَى مَكَانٍ لِإِقَامَةِ مَنْزِلٍ

سَأَلْتُ : « مَا الَّذِي كُنْتَ تَقُومِينَ بِهِ ، يَا عَزِيزَتِي ، عِنْدَمَا كُنْتُ
أَنَا وَفَرْتَزُ فَوْقَ السَّفِينَةِ ؟ »

قَالَتْ زَوْجَتِي : « عَثَرْتُ عَلَى مَكَانٍ لِبَيْتِنَا الْجَدِيدِ . إِنَّ الْحَرَّ
دَاخِلَ الْخِيْمَةِ أَشَدُّ مِمَّا نَسْتَطِيعُ احْتِمَالَهُ ، وَلَيْسَ ثِمَةً أَشْجَارٌ حَوْلَنَا
نَسْتَطِيعُ أَنْ نَجْلِسَ فِي ظِلِّهَا ؛ لِذَلِكَ حَمَلْتُ إِرْنِسْتَ وَجَاكَ
بُنْدُقِيَّتَيْهِمَا ، وَأَخَذْنَا مَعَنَا طَعَامًا يَكْفِينَا طَوَالَ الْيَوْمِ ، وَجَاءَ الْكَلْبَانِ
مَعَنَا أَيْضًا . وَقَدْ اعْتَرَضْنَا مَجْرَى صَغِيرٍ ، فَعَبَرْنَاهُ فَوْقَ الْحِجَارَةِ ، ثُمَّ
وَاصَلْنَا السَّيْرَ ، حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى أَرْضٍ مُرْتَفِعَةٍ . وَكَمْ أَذْهَبْنَا جَمَالَ
الطَّبِيعَةِ مِنْ حَوْلِنَا ! وَقَدْ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَرَى مَجْمُوعَةً صَغِيرَةً مِنْ
الْأَشْجَارِ تَنْمُو عَلَى مَسَافَةٍ مِنَّا ، فَوَاصَلْنَا السَّيْرَ ، حَتَّى وَصَلْنَا إِلَيْهَا فِي
النَّهَائَةِ . لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ إِلَّا عَشْرُ أَوْ اثْنَتَا عَشْرَةَ شَجَرَةً ، لَكِنَّهَا كَانَتْ

الأحجار ، كَمَا يَتَعَدَّرُ عَلَيْنَا أَنْ نَحْمِلَ مَتَاعَنَا وَنَغُوصَ بِهِ فِي الْمَاءِ ؛
لِذَا عَلَيْنَا أَنْ نُقِيمَ جِسْرًا .»

قَالَ إِرْنَسْتُ : « إِذَنْ عَلَيْنَا قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ أَنْ نَعُودَ إِلَى السَّفِينَةِ ؛
لِإِحْضَارِ أَخْشَابٍ لاسْتِخْدَامِهَا فِي إِقَامَةِ الْجِسْرِ .»

قَالَ جَاكُ : « لَا ، لَا حَاجَةَ بِنَا لِلْعُودَةِ إِلَى السَّفِينَةِ ؛ لِأَنِّي
شَاهَدْتُ كَمِّيَّاتٍ ضَخْمَةً مِنَ الْأَخْشَابِ ، فَوْقَ الشَّاطِئِ الَّذِي
أَمْسَكْنِي عِنْدَهُ ذَلِكَ الشَّيْءُ . لَقَدْ حَمَلَهَا الْبَحْرُ مَعَهُ مِنَ السَّفِينَةِ .»
قُلْتُ : « أَنْتَ وَلَدٌ مُمْتَازٌ ! هَيَّا نَذْهَبْ وَنَرِ مَا الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ
نَعْتَرَّ عَلَيْهِ هُنَاكَ .»

كَانَ جَاكُ مُصِيبًا ؛ فَقَدْ وَجَدْنَا كَثِيرًا مِنَ الْخَشَبِ ، فَرَبَطْنَا مَعًا
الْقِطْعَ الْكَبِيرَةَ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تَنْفَعَنَا ، ثُمَّ سَحَبْنَاهَا إِلَى مَصَبِّ النَّهْرِ .
وَجَرَّهَا الْحِمَارُ حَتَّى الْمَكَانِ الَّذِي اعْتَزَمْنَا أَنْ نُقِيمَ الْجِسْرَ عَلَيْهِ .

وَأَسْتَطَعْنَا بِصُعُوبَةٍ أَنْ نَمُدَّ ثَلَاثَ قِطْعٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الْخَشَبِ
بِعَرَضِ الْمَجْرَى ، مِنْ شَاطِئِ إِلَى الشَّاطِئِ الْآخِرِ ، ثُمَّ ثَبَّتْنَا بِالْمَسَامِيرِ
قِطْعًا أَصْغَرَ مِنَ الْخَشَبِ ، تَصِلُ كُلُّ مِنْهَا بَيْنَ تِلْكَ الْقِطْعِ الثَّلَاثِ .
وَكَانَ الْعَمَلُ شَاقًّا جِدًّا ، حَتَّى إِنَّا نَمْنَا نَوْمًا عَمِيقًا تِلْكَ اللَّيْلَةَ . وَفِي

الفصل السادس الانتقال إلى بَيْتِنَا الجديد

أَخَذْتُ أَفْكُرَ ، طَوَالَ اللَّيْلِ فِيمَا قَالَتْهُ زَوْجَتِي . وَعِنْدَمَا جَلَسْنَا
نَتَنَاوَلُ إِفْطَارَنَا صَبَاحَ الْيَوْمِ التَّالِي ، قُلْتُ : « سَنَذْهَبُ وَنَعِيشُ فِي
ذَلِكَ الْمَكَانِ الَّذِي شَاهَدْتِهِ عَلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ مِنَ النَّهْرِ . وَالْآنَ ،
مَا الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَبْدَأَ بِهِ ؟»

قَالَ جَاكُ : « أَنَا أَعْرِفُ بِمَاذَا نَبْدَأُ ، يَجِبُ أَنْ نَنْقُلَ الْخَيْمَةَ ،
وَنَأْخُذَ كُلَّ أَشْيَائِنَا الْآخَرَى ، ثُمَّ نَصْطَحِبَ الْحَيَوَانَاتِ .»

سَأَلْتُ : « وَمَا رَأْيُكَ ، يَا فَرْتَزُ ؟»

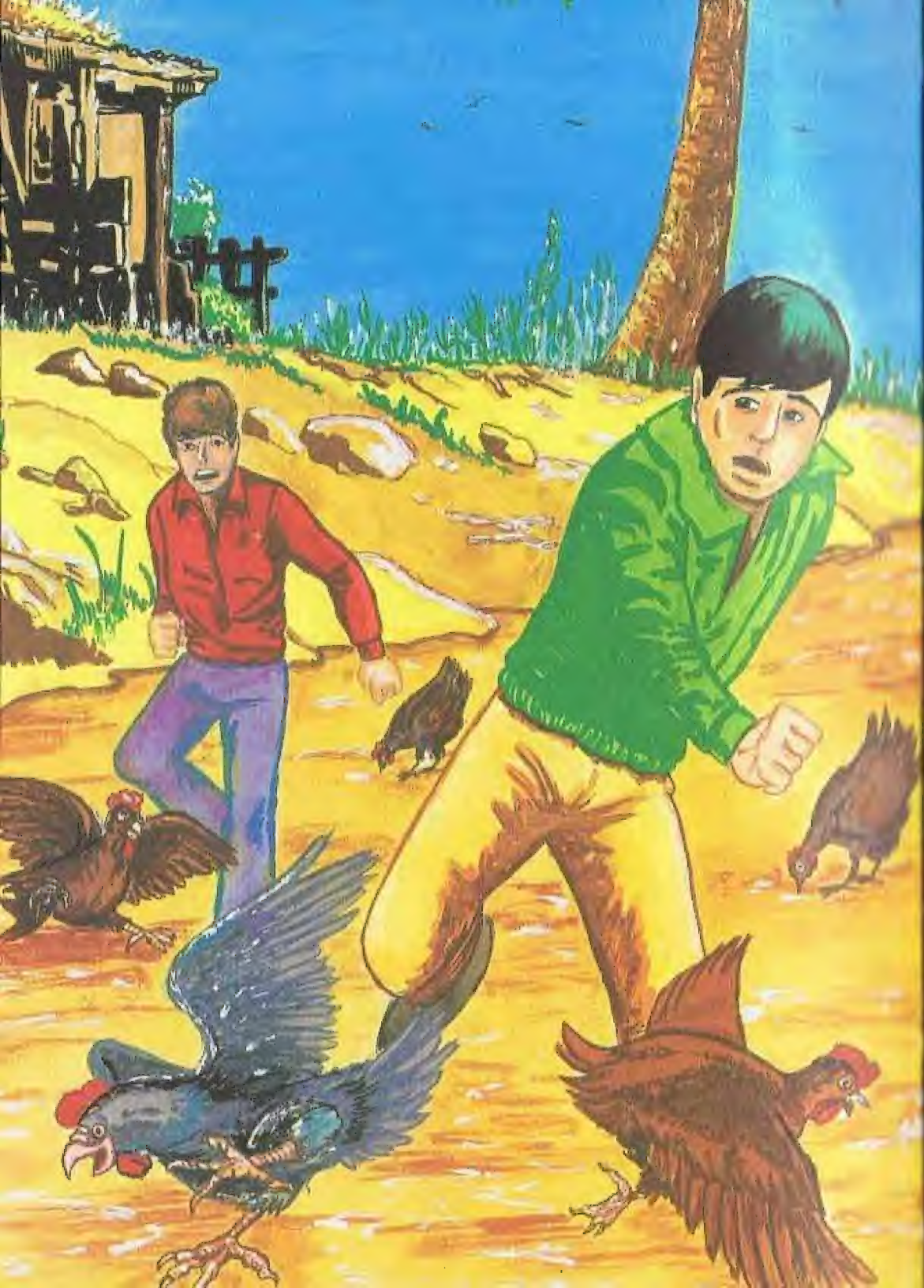
أَجَابَ فَرْتَزُ : « ذَلِكَ الْمَكَانُ يَقَعُ عَلَى النَّاحِيَةِ الْآخَرَى مِنَ النَّهْرِ .
لَقَدْ عَبَّرْتَهُ وَالِدَتِي مَعَ إِرْنَسْتُ وَجَاكُ ، فَوْقَ حِجَارَةٍ وَضَعُوهَا وَسَطَ
الْمَجْرَى ، لَكِنَّ الْبَقَرَةَ وَالْحِمَارَ يَتَعَدَّرُ عَلَيْهِمَا أَنْ يَعْبُرَاهُ فَوْقَ تِلْكَ

صَبَاحَ الْيَوْمِ التَّالِي ، اسْتَيْقَظْنَا مُبَكِّرِينَ ، وَبَدَأْنَا الْإِعْدَادَ لِرَحَلَتِنَا .

لَقَدْ وَضَعْنَا الْأَوَانِيَ وَالطَّعَامَ وَكُلَّ الْأَشْيَاءِ الصَّغِيرَةِ فِي أَكْيَاسٍ ،
عَلَّقْنَاهَا عَلَى جَانِبِي الْبَقَرَةِ وَالْحِمَارِ . كَمَا وَضَعْنَا أَكْيَاسًا صَغِيرَةً
عَلَى ظَهْرِ الْمُعْزِ . وَرَكِبَ فَرَانْسِيسُ فَوْقَ ظَهْرِ الْحِمَارِ ؛ لِكَيْ لَا
يُحَاوِلَ الْحَيَوَانُ الْهَرَبَ ، وَحَمَلْتُ أَنَا وَالْأَوْلَادُ أَغْطِيَةَ فِرَاشِنَا ، وَكُلُّ مَا
نَحْتَاجُ إِلَيْهِ خِلَالَ أَيَّامِنَا الْأُولَى فِي مَحَلِّ إِقَامَتِنَا الْجَدِيدِ . وَعِنْدَمَا
أَصْبَحْنَا جَمِيعًا عَلَى أَهْبَةِ الاسْتِعْدَادِ ، جَاءَتْ زَوْجَتِي وَقَالَتْ : « لَا
نَسْتَطِيعُ تَرْكَ الدَّجَاجَاتِ هُنَا ، وَالْأَفْعَالُ كَلَّهَا . »

عِنْدَئِذٍ بَدَأُ فَرْتَزُ وَارْنَسْتُ فِي الْجَرِيِّ هُنَا وَهُنَاكَ ، وَهُمَا يُحَاوِلَانِ
الْإِمْسَاكَ بِهَا ، لَكِنَّهُمَا لَمْ يَسْتَطِيعَا الْإِمْسَاكَ حَتَّى بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا .

قَالَتْ زَوْجَتِي : « سَأْرِيكُمَا كَيْفَ تَفْعَلَانِ هَذَا . » وَأَلْقَتْ بَعْضَ
الطَّعَامِ عَلَى الْأَرْضِ ، فَأَسْرَعَتْ كُلُّ الدَّجَاجَاتِ إِلَيْهِ ، ثُمَّ أَلْقَتْ
مَزِيدًا مِنَ الطَّعَامِ دَاخِلَ الْخِيْمَةِ ، فَدَخَلَتِ الدَّجَاجَاتُ كُلُّهَا إِلَى
الْخِيْمَةِ . وَأَثْنَاءِ انْشِغَالِهَا بِالتَّقَاتِ الطَّعَامِ ، أَغْلَقْتُ زَوْجَتِي مَدْخَلَ
الْخِيْمَةِ ، ثُمَّ دَخَلَ جَاكُ وَأَمْسَكَهَا . وَأَخِيرًا أَكْمَلْنَا اسْتِعْدَادَنَا
لِلتَّحَرُّكِ ، بَعْدَ أَنْ وَضَعْنَا كُلَّ الْأَشْيَاءِ الْبَاقِيَةِ دَاخِلَ الْخِيْمَةِ ،
وَأَعْلَقْنَاهَا بِأَحْكَامٍ .



وَسَارَ فَرْتَزُ مَعَ وَالِدَتِهِ فِي الْمَقْدَمَةِ ، وَبَعْدَهُمَا الْبَقَرَةُ مَعَ الْحِمَارِ الَّذِي
كَانَ فَرَانْسِيْسَ يَرْكَبُ فَوْقَ ظَهْرِهِ ، ثُمَّ الْمَعَزُ يَقُودُهَا جَاكُ ، ثُمَّ الْقِرْدُ
يَرْكَبُ فَوْقَ ظَهْرِ الْمَاعِزِ الَّتِي يَتَغَذَّى بِلَبَنِهَا ، وَبَعْدَهَا جَاءَ إِرْنَسْتُ مَعَ
الْخِرَافِ ، وَمَشَيْتُ أَنَا فِي الْمُوْخَرَةِ . وَكَانَ الْكَلْبَانِ يَجْرِيَانِ حَوْلَنَا ،
كَأَنَّمَا يُسَاعِدَانِنَا عَلَى السَّيْرِ فِي صَفٍّ وَاحِدٍ .

وَعَبَرْنَا الْجِسْرَ بِحِرْصٍ ، وَاحِدًا بَعْدَ الْآخَرِ ، وَكُنْتُ أَخْشَى أَنْ
يَنْهَارَ تَحْتَ ثِقَلِ الْبَقَرَةِ ؛ لِذَلِكَ تَرَكْنَا الْحِمَارَ يَبْدَأُ الْعُبُورَ . وَعِنْدَمَا
وَجَدْنَا الْجِسْرَ قَدْ تَحَمَّلَهُ عَبَرَتِ الْبَقَرَةُ بَعْدَهُ ، ثُمَّ تَبِعَهَا الْبَاقُونَ .
وَوَصَلْنَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي سَنُقِيمُ فِيهِ بَيْتَنَا الْجَدِيدَ .

قَالَ فَرْتَزُ : « يَا لَهَا مِنْ أَشْجَارٍ رَائِعَةٍ ! كَمْ هِيَ بَاسِقَةٌ ! »

قُلْتُ : « هَذَا صَحِيحٌ ، فَلَمْ أَكُنْ أَتَصَوَّرُ أَنَّهَا بِهِذِهِ الضَّخَامَةِ .
هَذَا مَكَانٌ مُمْتَازٌ حَقًّا . إِذَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَتَسَلَّقَ وَاحِدَةً مِنْ هَذِهِ
الْأَشْجَارِ ، وَأَنْ نُقِيمَ بَيْتَنَا فَوْقَهَا ؛ فَسَنَكُونُ فِي مَأْمَنِ مِنْ كُلِّ
الْحَيَوَانَاتِ الْمُفْتَرِسَةِ . »

وَقَيْدْنَا الْحَيَوَانَاتِ لِكَيْ لَا تَبْتَعِدَ عَنَّا ، وَأَطْلَقْنَا سَرَاحَ الدَّجَاجَاتِ .
وَأَشْعَلْتُ زَوْجَتِي نَارًا ، وَطَهَتْ لَنَا طَعَامًا .

الفصل السابع سُلَّمٌ مِنَ الْحَبَالِ

عِنْدَمَا فَرَعْنَا مِنْ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ ، قُلْتُ : « لَا بُدَّ أَنْ نَنَامَ عَلَى
الْأَرْضِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ؛ لِأَنِّي لَا أَرَى طَرِيقَةً نَسْتَطِيعُ أَنْ نَصْعَدَ بِهَا هَذَا
الْمَسَاءَ فَوْقَ الشَّجَرَةِ . »

ثُمَّ ذَهَبْتُ أَنَا وَفَرْتَزُ وَإِرْنَسْتُ إِلَى الشَّاطِئِ ؛ لِنَبْحَثَ عَنْ شَيْءٍ
يُصْلِحُ لِصَنْعِ سُلَّمٍ . وَكَانَ الشَّاطِئُ مُغَطًى بِقِطْعِ أَخْشَابٍ مِنْ
مُخْتَلِفِ الْأَحْجَامِ ، جَلَبَتْهَا الْأَمْوَاجُ إِلَى هُنَاكَ مِنَ السَّفِينَةِ .

قَالَ فَرْتَزُ : « قَدْ يَكُونُ مِنَ الصَّعْبِ صَنْعُ سُلَّمٍ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعِ
الْخَشَبِيِّ ، كَمَا سَيَكُونُ ثَقِيلَ الْوِزْنِ جِدًّا . »

صَاحَ إِرْنَسْتُ : « أَنْظُرُوا هُنَاكَ ، هَا هُوَ ذَا الشَّيْءِ الَّذِي نَحْتَاجُ
إِلَيْهِ تَمَامًا : الْخَيْزِرَانِ ! »

وَقَطَعْتُ مِنْ غَابِ الْخَيْزُرَانِ قِطْعًا يَبْلُغُ طَوْلُ الْوَاحِدَةِ مِنْهَا حَوَالِي
مِثْرَيْنِ ، ثُمَّ رَبَطْنَاهَا مَعًا حَتَّى يُمَكِّنَ حَمْلُهَا ، ثُمَّ قَطَعْتُ بَعْضَ
الْعِصِيِّ الْمُسْتَقِيمَةِ ، وَقُلْتُ : « بِهَذَا الْخَيْزُرَانِ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصْنَعَ
قَوْسًا ، كَمَا أَسْتَطِيعُ صَنْعَ سِهَامٍ مِنْ هَذِهِ الْعِصِيِّ » .

وَعُدْنَا إِلَى الشَّجَرَةِ وَنَحْنُ نَحْمِلُ قِطْعَ الْخَيْزُرَانِ ، وَوَضَعْنَاهَا عَلَى
الْأَرْضِ ، وَقُلْتُ : « هَذَا الْغُصْنُ الْكَبِيرُ يَرْتَفِعُ عَنِ الْأَرْضِ حَوَالِي
عَشْرَةِ أَمْثَالٍ ، فَلَا بُدَّ أَنْ نَعْرِفَ مِقْدَارَ مَا لَدَيْنَا مِنْ جِبَالٍ . إِنْ مَعَنَا
أَكْثَرُ مِنْ عِشْرِينَ مِثْرًا مِنَ الْجِبَالِ الرَّفِيعَةِ ، وَقِطْعَةٌ أُخْرَى أَطْوَلُ مِنَ
الْجِبَالِ الرَّفِيعَةِ ، وَكَمِيَّةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْخُيُوطِ . وَسَنَضَعُ الْآنَ عَلَى
الْأَرْضِ قِطْعَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ مِنَ الْجِبَالِ ، ثُمَّ نَقْطَعُ مِنَ الْخَيْزُرَانِ قِطْعًا
طَوِيلًا كُلُّ مِنْهَا نِصْفُ مِثْرٍ . هَيَّا ، يَا فَرْتَزْ ، اقْطَعْ أَنْتَ الْخَيْزُرَانِ ،
وَسَيَعَاوُنِي إِرْنَسْتُ فِي وَضْعِ الْجِبَالِ » . وَهَكَذَا بَدَأْنَا الْعَمَلَ .

قُلْتُ : « وَالْآنَ ، يَجِبُ أَنْ نُنْثَبِتَ قِطْعَ الْخَيْزُرَانِ عَلَى الْحَبْلَيْنِ ؛
لِنَصْنَعَ دَرَجَاتِ السُّلَمِ ، وَبِهَذَا نَحْصُلُ عَلَى سُلَمٍ مِنَ الْجِبَالِ » .
وَأَنَّهُمَكُنَا فِي عَمَلٍ شَاقٍّ جِدًّا . وَبَعْدَ عِدَّةِ سَاعَاتٍ ، أَصْبَحَ
سُلَمُنَا جَاهِزًا ، ثُمَّ جَلَسْتُ لِأَصْنَعَ قَوْسًا مِنَ الْخَيْزُرَانِ .

قُلْتُ : « إِرْنَسْتُ ، اجْمَعِ بَعْضَ الرِّيشِ ، وَأَصْنَعْ سَهْمًا مِنْ عَصَا .

ضَعُ مِسْمَارًا كَبِيرًا فِي أَحَدِ طَرَفَيْهِ ، وَبَعْضَ الرِّيشِ فِي الطَّرَفِ
الْآخَرِ » .

صَاحَ جَاكُ : « مَاذَا نَعْمَلُ بِقَوْسٍ وَسَهْمٍ ؟ هَلْ أَلْعَبُ بِهِمَا ؟ »

قُلْتُ لَهُ : « إِنِّي لَا أَصْنَعُ لَعِبَةً ، يَا جَاكُ ، بَلْ سَأَسْتَخْدِمُهُمَا فِي
الصَّيْدِ . وَسَرَّعَانِ مَا سَيَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمُ قَوْسٌ وَسِهَامٌ ، فَلَا بُدَّ
أَنْ نَحْرِصَ عَلَى مَا لَدَيْنَا مِنْ بَارودٍ ؛ فَإِذَا كَانَ ثَمَّةَ مُتَوَحِّشُونَ ، فَإِنَّهُمْ
سَيَكُونُونَ مَصْدَرًا خَطِرًا عَلَيْنَا فَوْقَ الْجَزِيرَةِ ، وَسَنَحْتَاجُ إِلَى الْبَارودِ
لِنُدَافِعَ بِهِ عَنْ أَنْفُسِنَا » .

وَعِنْدَمَا تَمَّ إِعْدَادُ الْقَوْسِ وَالسَّهَامِ ، رَبَطْتُ قِطْعَةَ خَيْطٍ طَوِيلَةً
إِلَى سَهْمٍ ، وَقَدَفْتُ بِالسَّهْمِ إِلَى أَعْلَى ، فَتَخَطَّى الْغُصْنُ الْكَبِيرُ
الْمُرْتَفِعَ ، ثُمَّ سَقَطَ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى ، وَطَرَفُ الْخَيْطِ مُثَبَّتٌ بِهِ .

قُلْتُ : « الْآنَ سَنَرِبِطُ قِطْعَةَ حَبْلِ رَفِيعَةٍ إِلَى الْخَيْطِ ، ثُمَّ نَشْدُ
الْحَبْلَ فَوْقَ الْغُصْنِ » . وَنَقَدْنا ذَلِكَ .

قَالَ إِرْنَسْتُ : « وَالْآنَ سَنَرِبِطُ سُلَمَ الْجِبَالِ إِلَى هَذَا الْحَبْلِ
الرَّفِيعِ ، ثُمَّ نَجْذِبُ الْحَبْلَ حَتَّى يَصِلَ السُّلَمُ إِلَى الْغُصْنِ ؛ وَعِنْدَئِذٍ
نَمْنَعُ السُّلَمَ مِنَ السُّقُوطِ بِاسْتِخْدَامِ الْحَبْلِ ، إِلَى أَنْ يَصْعَدَ وَاحِدٌ مِنَّا

وَيَثْبُتَ السَّلْمَ إِلَى الْغُصْنِ .

قُلْتُ : « هَذَا صَحِيحٌ ، وَعَلَيْكَ أَنْتَ أَنْ تَصْعَدَ ؛ لَأَنَّكَ أَخَفُّ
وَزَنًا مِنْ فَرْتَزٍ . » وَأَمْسَكَتُ أَنَا وَفَرْتَزٌ بِالْحَبْلِ ، إِلَى أَنْ تَسْلُقَ إِرْنَسْتُ
السَّلْمَ . وَسَرَّعَانِ مَا تَمَّ تَثْبِيثُهُ إِلَى الْغُصْنِ .

قُلْتُ : « لَقَدْ قُمْنَا الْيَوْمَ بِعَمَلٍ جَيِّدٍ ، وَيَجِبُ الْآنَ أَنْ نَقِيدَ
الْحَيَوَانَاتِ ، ثُمَّ نَنَامَ عِنْدَ جَذْعِ الشَّجَرَةِ ، وَنَبْدَأَ غَدًا فِي بِنَاءِ بَيْتِنَا
فَوْقَ الشَّجَرَةِ . »

قَالَ جَاكُ : « أَنْظَرُوا ، لَقَدْ تَمَّ اسْتِخْدَامُ سَلْمِ الْجِبَالِ فِعْلًا ! »

وَنَظَرْتُ ، فَوَجَدْتُ الدَّجَاجَاتِ قَدْ ذَهَبَتْ لِتَنَامَ فَوْقَهُ ، كُلُّ
دَجَاجَةٍ عَلَى دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِهِ .

وَأَشْعَلْتُ نَارًا كَبِيرَةً لِإِبْعَادِ الْحَيَوَانَاتِ الْمُفْتَرِسَةِ عَنَّا ، وَقَرَّرْتُ أَنْ
أَبْقَى مُسْتَقِيمًا لِلْحِرَاسَةِ .

الفصل الثامن بَيْتٌ فَوْقَ الشَّجَرَةِ

فِي الْبِدَايَةِ كُنْتُ شَدِيدَ الْقَلْقِ ، وَشَعَرْتُ أَنَّنَا فِي مَكَانٍ لَا يَتَوَافَرُ
فِيهِ الْأَمَانُ الْكَامِلُ ، وَسَمِعْتُ صَوْتًا غَرِيْبًا . لَا ، لَمْ يَكُنْ سِوَى
صَوْتِ الْأَوْرَاقِ الْمُتَسَاقِطَةِ مِنْ فَوْقِ الشَّجَرَةِ . وَبَدَأَتِ النَّارُ تَخْبُو . مَا
هَذِهِ الظَّلَالُ ؟ هَلْ هُنَاكَ وَحْشٌ يَتَسَلَّلُ مُقْتَرِبًا مِنَّا ؟ إِنَّهُ يَقْتَرِبُ أَكْثَرَ
فَأَكْثَرَ ، وَوَقَفْتُ ، وَأَضَفْتُ مَزِيدًا مِنَ الْأَخْشَابِ إِلَى النَّارِ . وَأَخِيرًا
شَعَرْتُ بِالْأَمَانِ ، وَذَهَبَتْ لِأَنَامَ . وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظْتُ كَانَ ضَوْءُ النَّهَارِ
يَغْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَقَدْ سَبَقَنِي الْبَاقُونَ كُلُّهُمْ إِلَى الْاسْتَيْقَظِ . وَتَنَاوَلْنَا
طَعَامَ الْإِفْطَارِ ، ثُمَّ بَدَأْنَا الْعَمَلَ مَرَّةً أُخْرَى .

حَلَبْتُ زَوْجَتِي الْبَقْرَةَ ، ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى الشَّاطِئِ مَعَ إِرْنَسْتُ وَجَاكُ
وَفَرَانْسِيْسِ ، وَالْحِمَارِ لِاحْضَارِ الْخَشَبِ الَّذِي قَدْ نَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِبِنَاءِ
الْبَيْتِ .

وَصَعِدْتُ أَنَا وَفَرْتَزُ فَوْقَ السُّلَمِ إِلَى أَعْلَى الشَّجَرَةِ ؛ لِوَضْعِ خُطَّةِ
بِنَاءِ بَيْتِنَا .

قُلْتُ : « هَذِهِ الْأَغْصَانُ مَتِينَةٌ وَمُتَقَارِبَةٌ ، كَمَا أَنَّهَا تَتَفَرَّعُ فِي
اسْتِقَامَةٍ مِنَ الشَّجَرَةِ . إِنَّ أَرْضِيَّةَ الْبَيْتِ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ هُنَا ،
وَسَيَكُونُ جِذْعُ الشَّجَرَةِ نَفْسُهُ أَحَدَ جَوَانِبِ الْبَيْتِ . »

نَظَرَ فَرْتَزُ إِلَى أَعْلَى وَقَالَ : « هَذِهِ الْأَغْصَانُ الَّتِي تَرْتَفِعُ فَوْقَنَا ،
يُمْكِنُ أَنْ تُثَبَّتَ السَّقْفُ فَوْقَهَا . وَلَكِنْ أَيُّ نَوْعٍ مِنَ السَّقْفِ ؟ »

قُلْتُ : « سَنَضْعُ قُمَاشَ الشَّرَاحِ فَوْقَ هَذِهِ الْأَغْصَانِ ، ثُمَّ نَتْرُكُهُ
يَتَدَلَّى إِلَى الْأَرْضِيَّةِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ . »

وَكَانَ هَذَا الْاِقْتِرَاحُ ، كَمَا سَيَتَضَحُّ فِيمَا بَعْدُ ، خَطَأً جَسِيمًا .
وَكَمُ كَانَتْ فِكْرَتِي غَيْرَ سَلِيمَةٍ ! أَمَّا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، فَقَدْ كُنْتُ
أَنَا وَفَرْتَزُ سَعِيدَيْنِ لِلْغَايَةِ بِأَفْكَارِنَا السَّادِجَةِ !

قُلْتُ : « أَمَّا هَذَا الْجَانِبُ الرَّابِعُ ، فَسَتَتْرُكُهُ مَفْتُوحًا ، فَمِنْهُ
نَسْتَطِيعُ أَنْ نُرَاقِبَ مَا حَوْلَنَا . وَلَعَلَّنَا نَسْتَطِيعُ إِعْدَادَ مَكَانٍ ، يُمْكِنُنَا أَنْ
نَجْلِسَ فِيهِ خَارِجَ الْبَيْتِ خِلَالَ النَّهَارِ . »

قَالَ فَرْتَزُ : « سَيَكُونُ بَيْتُنَا جَمِيلًا . لَكِنْ ، لَقَدْ اسْتَغْرَقُوا وَقْتَنَا



طويلاً في إحضار الخشب .

وأخيراً ظهرت زوجتي وإرئست ، ومعهما الحمار يجرُّ خلفه حملاً كبيراً من الخشب ، في حين كان هناك مزيد من الخشب قد ربطوه فوق ظهره ، وقد جلس فرانسيس على قمته . وأنزلوا الخشب ، وعادوا في الحال لإحضار المزيد منه .

قال فرترز : « كيف ننقله إلى أعلى ؟ هل أحمله وأصعد به السلم ؟ »

قلت : « بل يجب أن نرفعها إلى أعلى . »

قال فرترز : « باستخدام عجلة - عجلة تستخدم لرفع الأشياء إلى أعلى . ما اسمها ؟ »

قلت : « بكرة . »

قال : « نعم ، نعم ، بكرة . أين رأيت بكرة يا ثري ؟ إنها في صندوق الأدوات الذي مع إرئست . »

ووجد فرترز البكرة ، وثبتناها إلى غصن ، ثم جذبنا قطع الأخشاب إلى أعلى . وقامت زوجتي مع إرئست برحلتين .

إضافيتين إلى الشاطئ ، في حين بقي معنا جاك يربط قطع الخشب بالحبل ، ويجذبها فرترز إلى أعلى . وأنهمكت أنا في تثبيت أرضية البيت ، في حين قامت زوجتي بإعداد الطعام .

عندما أقبل المساء كانت أرضية البيت قد وضعت ، ثم بسطنا قماش الشراع فوق الأغصان العالية ، وثبتنا أطرافه السفلية إلى الأرضية بالمسامير ، بعد أن غطينا به جانبيين من جوانب البيت ، أما الجانب الرابع فكان يسمح لنا بأن نطل بسهولة على المنطقة المحيطة بنا ، كما أن كثيراً من الهواء البارد كان يهب منه إلى داخل البيت .

ونزلت السلم أنا وفرترز .

قلت : « لقد انتهينا من إقامة منزلنا . » ثم شاهدت بعض قطع الخشب لم تزل باقية حولنا ، فأضفت : « غداً ، سنصنع منها مائدة وبعض المقاعد . »

وكانت زوجتي قد أعدت لنا طعاماً من طائر كان إرئست قد اصطاده ، وهو في طريقه لإحضار الخشب . وكان طائراً عجوزاً ، ومذاقه يشبه مذاق السمك ، لكننا كنا نحس بجوع شديد ، فأكلناه . وأشعلنا ناراً لإبعاد الحيوانات المفترسة عنا .

قُلْتُ : « سَنَامُ هَذِهِ اللَّيْلَةِ فِي بَيْتِنَا الْجَدِيدِ . » وَأَسْرَعَ الصَّبِيَّانِ
الْكَبِيرَانِ يَتَسَلَّقَانِ السُّلَّم ، وَهُمَا يَحْمِلَانِ مَعَهُمَا فِرَاشَهُمَا .
وَكَانَتْ زَوْجَتِي مُتَخَوِّفَةٌ مِنْ تَسَلُّقِ السُّلَّم ، لَكِنَّهَا وَصَلَتْ إِلَى
أَعْلَاهُ بِسَلَامٍ ، ثُمَّ وَضَعَتْ فِرَاسَيْسَ فَوْقَ ظَهْرِي ، وَفَكَكْتُ السُّلَّم
مِنَ الْأَوْتَادِ الْمُثْبِتَةِ فِي الْأَرْضِ ، الَّتِي كُنَّا قَدْ رَبطْنَاهُ إِلَيْهَا ، وَتَسَلَّقْتُ
السُّلَّم ، وَجَذَبْتُهُ خَلْفِي إِلَى أَعْلَى .

قَالَ جَاك : « هَا نَحْنُ أَوْلَاءُ الْآنَ فِي أَمَانٍ تَامٍ دَاخِلَ بَيْتِ
الشَّجَرَةِ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ شَيْءٌ أَنْ يَصْعَدَ إِلَيْنَا هُنَا . »

فَجَاءَ صَاحَ فِرْتَز : « أَتَيْنَ الْقِرْدُ ؟ »

قَالَ إِرْنَسْتُ مُشِيرًا إِلَى فِرَاشِ فِرْتَز : « لَقَدْ سَبَقَكَ إِلَى فِرَاشِكَ !
فَلَا شَيْءٌ يَسْتَطِيعُ التَّسَلُّقَ إِلَى هُنَا مَا عَدَا الْقِرْدَ ؛ فَإِنَّهُ يَسْتَطِيعُ تَسَلُّقَ
أَيِّ شَيْءٍ . »

وَأَبْقَيْتُ بُنْدُقِيَّتِي إِلَى جِوَارِي ؛ لِأَنِّي ظَلَلْتُ أَحِسُّ بِعَدَمِ الْأَمَانِ
بِالنَّسْبَةِ لِلْحَيَوَانَاتِ ، لَكِنَّ اللَّيْلَ مَضَى بِهَدْوٍ .

الفصل التاسع العودة إلى الخيمة

بَعْدَ الْإِفْطَارِ انْصَرَفْتُ إِلَى الْعَمَلِ أَنَا وَفِرْتَز ، لِنَصْنَعَ مَائِدَةً مِنْ
بَعْضِ بَقَايَا الْخَشَبِ .

وَفَجْأَةً سَمِعْنَا صَوْتَ طَلْقَةٍ عَالِيَةٍ ، وَسَقَطَ طَائِرٌ صَغِيرٌ عِنْدَ أَقْدَامِنَا .

قَالَ إِرْنَسْتُ وَهُوَ يَقْتَرِبُ لِيَلْتَقِطَهُ : « هَذِهِ طَلْقَةٌ مُوقَفَةٌ . »

قُلْتُ : « بَلْ لَيْسَتْ مُوقَفَةٌ ؛ فَمِنْ أَسْوَأِ الْأَشْيَاءِ أَنْ نُضَيِّعَ الْبَارُودَ
عَلَى هَذَا النَّحْوِ . يَجِبُ أَنْ نَسْتَخْدِمَ الْبِنَادِقَ لِصَيْدِ الْحَيَوَانَاتِ الْكَبِيرَةِ
الَّتِي لَطَعَامِنَا ، أَمَّا بِالنَّسْبَةِ لِصِغَارِ الطُّيُورِ وَالْحَيَوَانَاتِ ، فَلَا بُدَّ أَنْ
نَسْتَخْدِمَ الْقَوْسَ وَالسَّهْمَ . تَأْمَلْ ، يَا إِرْنَسْتُ ، الْقَوْسَ وَالسَّهْمَ
الَّتِي صَنَعْتُهُمَا ، وَحَاوِلْ أَنْ تَصْنَعَ خَيْرًا مِنْهَا ، ثُمَّ تَعْلَمْ كَيْفَ
نَسْتَخْدِمُهَا . »

وَعِنْدَمَا حَلَّ الظُّهْرُ وَضَعْنَا بَعْضَ الْبَرَامِيلِ حَوْلَنَا ، وَتَاهَبْنَا لِتَنَاوُلِ
الطَّعَامِ ، وَنَحْنُ جُلُوسٌ - لِأَوَّلِ مَرَّةٍ - حَوْلَ مَائِدَةٍ .

تَسَاءَلْتُ زَوْجَتِي : « أَيْنَ إِرْنِسْتُ وَجَاكِ ؟ »

قُلْتُ : « دَعَوْنَا نَبْدَأَ الطَّعَامَ ، وَمَنْ يَتَأَخَّرُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ طَعَامًا ! »

قَالَتْ زَوْجَتِي : « أَخْشَى أَنْ يَكُونَ قَدْ وَقَعَ لَهُمَا مَكْرُوهٌ . أَخَافُ
مِنْ هُجُومِ حَيَّوَانٍ مُفْتَرِسٍ عَلَيْهِمَا . لَا أَسْتَطِيعُ تَذُوقَ الطَّعَامِ مَا لَمْ
أَعْرِفْ أَيْنَ هُمَا . »

وَهَكَذَا انْتَبَرْنَا .

أَخِيرًا قُلْتُ : « أَنَا مُوقِنٌ مِنْ أَنَّ شَيْئًا لَمْ يَحْدَثْ لَهُمَا . إِنَّهُمَا
صَغِيرَانِ مُنْدَفِعَانِ يَنْسِيَانِ الْوَقْتَ . هَيَّا ضَعِي الطَّعَامَ عَلَى الْمَائِدَةِ . »

وَمَا إِنَّ فَعَلْتُ زَوْجَتِي مَا طَلَبَتْهُ مِنْهَا حَتَّى ظَهَرَ إِرْنِسْتُ وَجَاكِ
يَحْمِلَانِ الْأَقْوَاسَ وَالسَّهَامَ .

قَبْلَ أَنْ أَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ ، قَالَ جَاكِ وَهُوَ يُمَسِّكُ طَائِرًا صَغِيرًا جَدًّا
اسْتَطَاعَ أَنْ يَصِيدَهُ بِالْقَوْسِ : « أَنْظَرُوا ، وَأَنْظَرُوا أَيْضًا مَا الَّذِي أَمْسَكَهُ
إِرْنِسْتُ : أَرْنَبٌ . »

وَقَدْ كَانَ حَيَّوَانًا صَغِيرًا ، يُشَبِّهُ الْأَرْنَبَ كَثِيرًا .

قُلْتُ : « أَنَا سَعِيدٌ جَدًّا بِمَا حَقَّقْتُمَاهُ ، لَكِنِّي غَاضِبٌ لِتَأَخَّرِكُمَا .
لَقَدْ خَشِيتُ أَمُّكُمَا أَنْ تَكُونَا قَدْ تَعَرَّضْتُمَا لِخَطَرٍ . هَيَّا اجْلِسَا لِتَنَاوُلِ
الطَّعَامِ . »

وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْنَا إِلَّا الْخَبْزُ وَاللَّحْمُ لِلْغَدَاءِ ، وَكَانَ الْخَبْزُ جَافًا جَدًّا ،
أَمَّا اللَّحْمُ فَكَانَ مِنَ الْحَيَّوَانِ الَّذِي اصْطَدَّتْهُ بِالْأَمْسِ .

قَالَتْ زَوْجَتِي : « لَقَدْ تَرَكْتُ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ فِي الْخَيْمَةِ ، فَإِذَا
جِئْتُمْ بِهَا ، يُمَكِّنُ أَنْ أَقْدِمَ لَكُمْ طَعَامًا أَفْضَلَ ، كَمَا أَنَّ الْبَطَّ لَا يَزَالُ
هُنَاكَ . »

وَبَدَأْنَا الْمَسِيرَةَ يَتَقَدَّمُنَا الْكَلْبَانِ ، وَقَدْ رَكِبَ الْقِرْدُ فَوْقَ ظَهْرِ طِرْكٍ ،
وَبَعْدَهَا جَاءَ فَرْتَزُ وَإِرْنِسْتُ وَجَاكِ ، وَمَعَهُمْ أَقْوَاسُهُمْ وَسَهَامُهُمْ ، وَفِي
الْمُؤَخَّرَةِ سِرْتُ أَنَا وَزَوْجَتِي وَفِرَانْسِيْسُ ، وَقَدْ حَمَلْتُ مَعِيَ كَيْسًا
لِنُحْضِرَ فِيهِ مِلْحًا .

وَأثناءَ سَيْرِنَا عَلَى الشَّاطِئِ رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا تَزَالُ كَمِيَّةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ
الْخَشَبِ مُتَنَاثِرَةً عَلَيْهِ ، كَمَا لَاحَظْتُ وُجُودَ قِطْعَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ مِنْ
الْخَشَبِ ، لَهُمَا نَفْسُ الْحَجْمِ وَالشَّكْلِ ، وَقَدْ انْحَنَتْ كُلُّ مَنِهْمَا

مِنْ أَحَدٍ طَرَفِهَا .

تَسَاءَلْتُ فِي نَفْسِي : « تُرَى أَيْنَ سَبَقَ لِي أَنْ شَاهَدْتُ قِطْعًا مِنَ
الْخَشَبِ تُشَبِّهُ فِي شَكْلِهَا هَاتَيْنِ الْقِطْعَتَيْنِ ؟ » تَذَكَّرْتُ .. فِي سويسرا
بِغَيْرِ شَكٍّ .

وَوَصَلْنَا إِلَى الْخِيْمَةِ ، وَوَجَدْنَا كُلَّ شَيْءٍ كَمَا تَرَكْنَاهُ ، وَذَهَبَ
كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا لِيَبْحَثَ عَنِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا : ذَهَبَ فِرْتزُ
لِيُحْضِرَ بِرْمِيلاً مِنَ الْبَارودِ ، وَبَعْضُ الطَّلَقَاتِ الَّتِي كُنَّا قَدْ تَرَكْنَاهَا
خَلْفَنَا ، وَذَهَبْتُ أَنَا لِأَحْضَارِ الزُّبْدِ لِزَوْجَتِي .

وَأَشَارَتْ زَوْجَتِي إِلَى كَيْسٍ ، تَذَكَّرْتُ أَنَّهُ كَانَ مَوْضوعًا فِي
الْقَارِبِ .

سَأَلْتُهَا : « مَا هَذَا ؟ »

قَالَتْ : « هَذَا مَا كُنْتُ أُرِيدُ إِضَافَتَهُ إِلَى طَعَامِنَا . إِنَّهَا بَطَاطِسٌ ،
سَأَسْأَلُهَا لِتَأْكُلُوهَا . »

قُلْتُ : « إِنَّ الْمَوْجُودَ مِنْهَا قَلِيلٌ جَدًّا يَكَادُ يَكْفِي لِوَجْبَةٍ وَاحِدَةٍ
فَقَطُّ ، لَكِنْ إِذَا زَرَعْنَاهَا سَيَكُونُ لَدَيْنَا مِنْهَا الشَّيْءُ الْكَثِيرُ فِي الْعَامِ
الْمُقْبِلِ ، بِمَا يَكْفِينَا لِوَجَبَاتٍ كَثِيرَةٍ . »

قَالَ جَاكُ ، الَّذِي كَانَ يُصْغِي إِلَى حَدِيثِنَا : « نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْكُلَ
هَذِهِ الْبَطَاطِسَ ، وَنُمْكِنُ أَنْ نَجِدَ بَطَاطِسَ بَرِّيَّةً مِثْلَمَا عَثَرْنَا عَلَى
قَصَبِ السُّكَّرِ وَجُوزِ الْهِنْدِ . »

قُلْتُ : « لَا ، يَا جَاكُ ؛ الْبَطَاطِسُ الْبَرِّيَّةُ تَنْمُو عَلَى الْجِبَالِ
الْعَالِيَةِ ، كَمَا أَنَّهَا صَغِيرَةٌ الْحَجْمِ ، وَمَذَاقُهَا لَيْسَ مَقْبُولًا عِنْدَ
الْأَكْلِ . إِنَّ هَذِهِ الْبَطَاطِسَ الَّتِي مَعَنَا تَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَنِ الْبَطَاطِسِ
الْبَرِّيَّةِ . لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ لَنَا حَدِيقَتَنَا ، الَّتِي نَزْرَعُ فِيهَا هَذِهِ
الْبَطَاطِسَ الْجَيِّدَةَ . »

سَأَلَ جَاكُ : « وَلَكِنْ مَا الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ نَأْكُلَهُ الْآنَ ؟ »

أَجَبْتُ : « سَأَدِيرُ الْآنَ مَا الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ نَتَنَاوَلَهُ ، إِلَى أَنْ يَتِمَّ
إِعْدَادُ حَدِيقَتِنَا . هُنَاكَ بَعْضُ النَّبَاتَاتِ الْبَرِّيَّةِ ، الَّتِي يُمَكِّنُنَا اسْتِخْدَامُهَا
بَدَلًا مِنَ الْبَطَاطِسِ . وَالْآنَ ، إِذْهَبْ مَعَ إِرْنِسْتِ ، وَحَاوِلَا الْإِمْسَاكَ
بِالْبَطِّ . »

وَأَلْقَى جَاكُ قِطْعًا صَغِيرَةً مِنَ الطَّعَامِ فِي مَاءِ النَّهْرِ ، وَأَمْسَكَ
إِرْنِسْتُ الْبَطَّ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ لِإِذَاكُلَ . وَبَيْنَمَا هُمَا يَقُومَانِ بِهَذِهِ
الْمِهْمَةِ ، ذَهَبْتُ أَنَا وَفِرْتزُ لِأَحْضَارِ الْمِلْحِ .

كَانَتْ مِيَاهُ الْبَحْرِ الَّتِي تَجِفُّ فَوْقَ الصُّخُورِ ، تَتْرَكُ الْمِلْحَ فِي
مَكَانِهَا بَعْدَ تَبَخُّرِهَا ، وَاسْتَطَعْنَا أَنْ نَجْمَعَ كَمِيَّةً كَافِيَةً ، يُمَكِّنُ أَنْ
تُعْطِيَ مَذَاقًا مَعْقُولًا لِطَعَامِنَا . وَإِذَا كُنْتُ قَدْ قُلْتُ : مَا يَكْفِي لِإِعْطَاءِ
مَذَاقٍ لِطَعَامِنَا ، فَكَمْ أَخْطَأْنَا عِنْدَمَا لَمْ نَفَكِّرْ فِي أَخْذِ مِلْحٍ يَصْلَحُ
لأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ !

وَتَابَعْنَا السَّيْرَ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ ، وَكَانَ الْبَطُّ يُصْدِرُ ضَجَّةً عَالِيَةً
ضَحِكُ لَهَا الْأَوْلَادُ ، حَتَّى نَسُوا ثِقْلَ مَا يَحْمِلُونَ . أَمَّا أَنَا فَقَدْ قُلْتُ
لِنَفْسِي : « لِمَاذَا نَحْمِلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ عَلَى ظُهُورِنَا ، وَبَيْنَ أَيْدِينَا
طَرِيقَةً أَفْضَلَ لِنَقْلِهَا ؟ »

الفصل العاشر الزَّحَافَةُ

كَانَ بِرُمَيْلِ الزُّبْدِ ثَقِيلًا ، فَقُلْتُ لِنَفْسِي : « لَا بُدَّ أَنْ نَجِدَ وَسِيلَةً
نَنْقُلُ بِهَا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الثَّقِيلَةَ . »

وَفَكَّرْتُ فِي حَيَوَانَاتِنَا الَّتِي رَبَطْنَاهَا إِلَى جَذَعِ الشَّجَرَةِ أَثْنَاءَ
الَّيْلِ الْحِمَارِ وَالْمَعَزِ وَالْبَقَرَةِ . إِنَّهَا لَيْسَتْ فِي أَمَانٍ ، لَا بُدَّ أَنْ نَقِيمَ
لَهَا حِطَائِرَ ، وَسَيَحْتَاجُ الْأَمْرُ إِلَى خَشَبٍ ، بَلْ إِلَى كَمِيَّةٍ أَكْبَرَ كَثِيرًا
مِنَ الَّتِي اسْتَحْدَمْنَاهَا لِصُنْعِ أَرْضِيَّةِ بَيْتِنَا ، كَمَا سَنَحْتَاجُ أَيْضًا إِلَى
كَمِيَّةٍ مِنَ الْخَيْزُرَانِ . لَا يَسْتَطِيعُ الْحِمَارُ وَحْدَهُ حَمْلَ الْكَثِيرِ ؛ فَلَا بُدَّ
مِنْ صُنْعِ زَحَافَةٍ .

إِنَّ هَاتَيْنِ الْقِطْعَتَيْنِ مِنَ الْخَشَبِ اللَّتَيْنِ رَأَيْتُهُمَا عَلَى الشَّاطِئِ ،
لَهُمَا الشَّكْلُ الْمُنَاسِبُ تَمَامًا لِصُنْعِ قَاعِدَةِ الزَّحَافَةِ . وَقَرَّرْتُ أَنْ
أَصْحَبَ مَعِيَ إِرْنَسَتْ ؛ لِأَنَّهُ يُمِيلُ إِلَى حَدِّ مَا إِلَى الْكَسَلِ ، كَمَا



أنَّهُ إِذَا لَاحَ أَيُّ خَطَرٍ ، سَيَكُونُ فَرْتَزُ أَكْثَرُ فَائِدَةً لِلْآخَرِينَ .

وَمَعَ أَوَّلِ ضَوْءٍ فِي النَّهَارِ أَيْقَظْتُ إِرْنَسْتُ ، وَنَزَلْنَا بِهْدُوٍ مِنْ فَوْقِ السَّلَمِ ، وَأَخَذْتُ مَعِيَ الْمِنْشَارَ وَالْمِطْرَقَةَ وَبَعْضَ الْمَسَامِيرِ ، وَقِطْعَةً مِنَ الْجَبَلِ الرَّفِيعِ . وَذَهَبْنَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي بِهِ قِطْعَتَا الْخَشَبِ ، ثُمَّ قَطَعْنَا قِطْعًا مُسْتَعْرِضَةً ثَبَّتْنَاهَا بِالْمَسَامِيرِ فِي هَاتَيْنِ الْقِطْعَتَيْنِ ، ثُمَّ وَضَعْنَا فَوْقَ الزَّخَافَةِ حِمْلًا مِنَ الْأَخْشَابِ وَالْخَيْزُرَانِ ، وَرَبَّطْتُ حَبْلًا فِي الْجُزْءِ الْأَمَامِيِّ مِنْهَا ، وَسَحَبْنَاهَا عَلَى طَوْلِ الشَّاطِئِ بِسُهُولَةٍ فَوْقَ الرَّمَالِ .

وَمَا إِنْ أَنْتَهَيْنَا مِنْ تَنَاوُلِ طَعَامِنَا حَتَّى سَمِعْنَا ضَجَّةً عَالِيَةً تَصْدُرُّ عَنْ الدَّجَاجِ ؛ فَقُلْتُ لِنَفْسِي وَنَحْنُ نَجْرِي : « هُنَاكَ حَيَوَانٌ يُحَاوِلُ الْفَتْكَ بِهَا . »

صَاحَ إِرْنَسْتُ : « إِنَّ الْقِرْدَ يُطَارِدُ الدَّجَاجَاتِ وَيَمْسِكُ بِهَا . »

وَرَأَيْنَا الْقِرْدَ يَخْتَفِي خَلْفَ شَجَرَةٍ وَهُوَ يَأْكُلُ بَيْضَةً ، ثُمَّ ابْتَعَدَ وَهُوَ يَجْرِي إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى ، وَجَرَى إِرْنَسْتُ خَلْفَهُ ، وَسَرَّعَانَ مَا عَادَ وَمَعَهُ أَرْبَعُ بَيْضَاتٍ كَانَ الْقِرْدُ يُخْفِيهَا . وَذَهَبَتْ زَوْجَتِي وَالْقَتُ نَظْرَةً عَلَى الْحَشَائِشِ الَّتِي اعْتَادَ الدَّجَاجُ أَنْ يَعِيشَ بَيْنَهَا .

قَالَتْ : « إِنَّ إِحْدَى الدُّجَاجَاتِ تَحْتَضِنُ الْبَيْضَ ، وَسَرَّعَانَ مَا سَيَكُونُ عِنْدَنَا بَعْضُ الْكَتَاكَيْتِ الصَّغِيرَةِ . لَا بُدَّ أَنْ نُقِيمَ مَكَانًا آخَرَ لِلدُّجَاجِ ، كَمَا يَجِبُ إِبْعَادُ الْقِرْدِ عَنْهَا . »

وَبَعْدَ الْغَدَاءِ ، جَرَّ الْحِمَارُ الزُّحَافَةَ إِلَى الشَّاطِئِ ، تَحْتَ إِشْرَافِي أَنَا وَإِرْنَسْتُ ؛ وَذَلِكَ لِإِحْضَارِ مَزِيدٍ مِنَ الْخَشَبِ وَالْخِيزَرَانِ . وَأَثْنَاءَ قِيَامِنَا بِتَحْمِيلِ الْأَشْيَاءِ فَوْقَ الزُّحَافَةِ ، أَطْلَقْنَا سَرَّاحَ الْحِمَارِ ، فَرَأَى حَشَائِشَ خَضِرَاءَ عَلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ مِنَ النَّهْرِ ، فَعَبَّرَهُ مِنْ فَوْقِ الْجِسْرِ الَّذِي كُنَّا قَدْ أَقْمَنَاهُ ، ثُمَّ اخْتَفَى عَنْ أَبْصَارِنَا .

قُلْتُ لِإِرْنَسْتُ : « لَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَذْهَبَ بَعِيدًا . خُذِ الْكَلْبَةَ فَلُورَا ، وَادْهَبْ لِإِعَادَتِهِ . أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَحِسُّ بِالْحَرِّ الشَّدِيدِ ، وَأُرِيدُ أَنْ أُسَبِّحَ قَلِيلًا . »

وَأَسْتَمْتَعْتُ كَثِيرًا بِالسَّبَاحَةِ . وَعِنْدَمَا عُدْتُ وَجَدْتُ الْحِمَارَ مَرْبُوطًا إِلَى شَجَرَةٍ ، لَكِنِّي لَمْ أُسْتَطِعْ رُؤْيَةَ إِرْنَسْتُ ، فَقُلْتُ لِنَفْسِي : « لَعَلَّهُ يَتَمَشَّى عَلَى طُولِ الشَّاطِئِ . »

وَعِنْدَئِذٍ رَأَيْتُهُ يَقِفُ فَوْقَ صَخْرَةٍ ، وَعِنْدَمَا رَأَيْتُ صَاحَ قَائِلًا : « أَنْظُرْ ، يَا أَبِي . سَمَكَةٌ ! إِنَّهَا أَكْبَرُ سَمَكَةٍ رَأَيْتُهَا فِي حَيَاتِي . يَجِبُ أَنْ نَصِيدَهَا لِتَكُونَ طَعَامَنَا فِي الْغَدَاءِ . »

وَكَانَتْ سَمَكَةٌ كَبِيرَةٌ حَقًا ، لَكِنْ كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ نَصِيدَهَا ؟
وَمَاذَا ؟

قُلْتُ لَهُ : « تَعَالِ ، يَجِبُ أَنْ نَعُودَ إِلَى الْبَيْتِ بِالزُّحَافَةِ . ثَمَّةَ غُيُومٍ فِي السَّمَاءِ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ الرِّيحَ سَتَبْدَأُ فِي الْهَيُوبِ بِشِدَّةٍ . »

ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَلْقَتْ فِيهِ الْأَمْوَاجُ بِالسَّفِينَةِ فَوْقَ الصُّخُورِ ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ بَقِيَ مِنْهَا الْكَثِيرُ ، وَإِذَا هَبَّتْ عَاصِفَةٌ أُخْرَى فَقَدْ تَخْتَفِي كُلُّهَا تَحْتَ الْمَاءِ . يَجِبُ أَنْ نَقُومَ بِزِيَارَةِ آخِرَةِ إِلَى السَّفِينَةِ ؛ لِتَأْخُذَ مِنْهَا بَعْضَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي نَحْتَاجُ إِلَيْهَا بِشِدَّةٍ ؛ فَسَتَكُونُ فُرْصَتُنَا الْآخِرَةَ . كَيْفَ وَصَلَ بِي الْغَبَاءُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ أَثْنَاءَ رِحْلَتِنَا الْآخِرَةِ ، حِينَ أَحْضَرْنَا الْحَيَوَانَاتِ ؟ مَا الَّذِي أَحْضَرَنَا غَيْرَهَا ؟ زَيْدٌ ، بَعْضُ اللَّحْمِ الْمَمْلَحِ ، أَغْطِيَةٌ لِلْفِرَاشِ ، دَقِيقٌ ، بَارُودٌ ، وَبَعْضُ الْكُتُبِ . وَكُنَّا نُدْرِكُ عِنْدَئِذٍ أَنَّنَا قَدْ نَضْطَرُّ إِلَى الْبَقَاءِ فَوْقَ الْجَزِيرَةِ وَقَفْتًا طَوِيلًا ، قَدْ يَكُونُ عَامًا أَوْ عَامَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ ، وَقَدْ نَسْتَغْرِقُ عُمْرَنَا كُلَّهُ ، فَمَا هِيَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نُحْضِرَهَا مَعَنَا ؟ لِمَاذَا لَمْ أَفَكِّرْ فِي الْأَشْيَاءِ الْآخَرَى الْأَكْثَرُ أَهَمِّيَّةً ، الَّتِي كَانَ يَجِبُ إِحْضَارَهَا ؟

وَعَدْنَا بِسُرْعَةٍ ، فَقَالُوا إِنَّهُمْ سَيُقَابِلُونَنَا حِينَ نَعُودُ وَمَعَهُم
الرَّحَافَةُ ؛ لِنَحْمِلَ فَوْقَهَا مَا سَنُحْضِرُهُ مِنْ أَشْيَاءَ .

وَوَصَلْنَا السَّفِينَةَ بِغَيْرِ صُعُوبَاتٍ تُذَكِّرُ ؛ فَقُلْتُ : « وَالْآنَ ، يَا
فِرْتَزْ ، مَا هِيَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي نَحْتَاجُ إِلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا ؟ »
أَجَابَنِي : « لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَذَكَّرَ إِلَّا شَيْئًا وَاحِدًا صَغِيرًا . »

قُلْتُ : « مَا هُوَ ؟ »

قَالَ : « أَنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى شَيْءٍ أَصِيدُ بِهِ تِلْكَ السَّمَكَةَ
الْكَبِيرَةَ . »

قُلْتُ : « أَنْتَ عَلَى حَقٍّ ؛ فَنَحْنُ نَحْتَاجُ إِلَى شُصُوصٍ وَشِبَاكِ
لِصَيْدِ الْأَسْمَاكِ . لَكِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقْتَصِرَ فِي طَعَامِنَا عَلَى
السَّمَكِ وَاللَّحْمِ كُلِّ يَوْمٍ . »

أَجَابَ : « حَقًّا ، لَا بُدَّ أَنْ نَتَنَاوَلَ أَيْضًا الْخُبْزَ وَالْفَاكِهَةَ وَالْبُقُولَ
وَالْخَضِرَاوَاتِ . »

قُلْتُ : « يَجِبُ أَنْ نَعْتَمِدَ فِي طَعَامِنَا عَلَى مَا نَسْتَطِيعُ زِرَاعَتَهُ .
لَعَلَّكَ تَتَذَكَّرُ السَّيِّدَ وَيَلِكْنَزَ الَّذِي كَانَ مَعَنَا عَلَى السَّفِينَةِ ، لَقَدْ كَانَ
مُسَافِرًا لِبَيْدَا حَيَاةً جَدِيدَةً عَلَى أَرْضٍ جَدِيدَةٍ ، وَكَانَ بُسْتَانِيَا . لَقَدْ

الفصل الحادي عشر الزَّيَارَةُ الثَّانِيَّةُ لِلْسَّفِينَةِ

فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ اسْتَيْقَظْتُ أَنَا وَفِرْتَزْ ، وَدَهَبْنَا لِنَلْقِيَ نَظْرَةً
عَلَى قَارِبِنَا . كَانَتْ حَالَتُهُ جَيِّدَةً ، لَكِنَّا كُنَّا قَدْ اسْتَحْدَمْنَا الشَّرَاعَ
فِي صَنْعِ سَقْفٍ لِبَيْتِ الشَّجَرَةِ .

قَالَ فِرْتَزْ : « أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُمَكِّنُنَا الْوُصُولَ إِلَى السَّفِينَةِ بِاسْتِخْدَامِ
الْمَجَادِيفِ ، وَسَيَعَاوِنُنَا النَّهْرُ عَلَى الْإِبْحَارِ أَتْنَاءَ الذَّهَابِ . »

قُلْتُ : « كَلَامُكَ صَحِيحٌ ، لَكِنْ لَا بُدَّ أَنْ نُحْضِرَ شِرَاعًا آخَرَ مِنْ
السَّفِينَةِ ، لِيُبْحِرَ بِنَا عِنْدَمَا يَكُونُ الْقَارِبُ ثَقِيلًا وَمُحْمَلًا بِمُخْتَلِفِ
الْأَشْيَاءِ . إِنَّ الْهَوَاءَ لَا يَزَالُ يَهْبُ مِنْ الْبَرِّ إِلَى الْبَحْرِ . سَنَسْرِعُ إِلَى
الْبَيْتِ ، وَنُخْبِرُ الْبَاقِينَ أَنَّنَا سَنُبْحِرُ الْآنَ ، وَأَنَّنَا سَنَقْضِي اللَّيْلَ عَلَى
ظَهْرِ السَّفِينَةِ . »

قَالَ إِنَّهُ أَحْضَرَ مَعَهُ بَعْضَ أَدَوَاتِ فِلَاحَةِ الْجَدَائِقِ وَزَرَاعَتِهَا ، وَلَا بُدَّ
أَنْ نَعَثِّرَ عَلَى هَذِهِ الْأَدَوَاتِ . سَأَنْزِلُ الْآنَ إِلَى عُرْفِ السَّفِينَةِ وَأَبْحَثُ ؛
لَعَلَّنِي أُعَثِّرَ عَلَى مِجْرَفَةٍ أَوْ شَوْكَةٍ أَوْ أَدَوَاتٍ زَرَاعِيَّةٍ أُخْرَى ، وَادْهَبْ
أَنْتَ لِتَبْحَثَ عَنْ شَيْءٍ لِلصَّيْدِ .

قَالَ فَرْتَزُ : « أَتَذْكُرُ أَنَّ أَحَدَ الضُّبَّاطِ كَانَ يَصِيدُ مِنْ فَوْقِ حَاجِزِ
السَّفِينَةِ ، وَأَنَا أَعْرِفُ أَيْنَ عُرْفَتَهُ . سَأَدْهَبُ إِلَيْهَا وَأَرَى مَا الَّذِي يُمَكِّنُ
أَنْ أُعَثِّرَ عَلَيْهِ فِيهَا . »

نَزَلْتُ ، وَاسْتَطَعْتُ أَنْ أَجِدَ بَعْضَ الشُّوكِ وَالْمَجَارِفِ . وَكُنْتُ أَمَلُّ
أَنْ أُعَثِّرَ عَلَى بَعْضِ الْبُذُورِ ، لَكِنِّي لَمْ أَجِدْ مِنْهَا شَيْئًا .

عِنْدَئِذٍ قُلْتُ لِنَفْسِي : « لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ عِنْدَنَا بَعْضُ الْبُذُورِ ، فَمَا
هِيَ الْجُبُوبُ الَّتِي يُمَكِّنُ الْحُصُولَ عَلَيْهَا لِزَرَاعَتِهَا ؟ إِنَّهَا الْبُقُولُ ! »

وَذَهَبْتُ إِلَى مَطْبَخِ السَّفِينَةِ ، وَوَجَدْتُ نَوْعَيْنِ مِنَ الْبُقُولِ ،
فَأَخَذْتُ كَمِيَّةً كَبِيرَةً مِنْ كُلِّ نَوْعٍ .

كَانَتْ عُرْفَةُ السَّيِّدِ وَبِلَكِنَزُ فِي مَوْخِرَةِ السَّفِينَةِ ، وَهُوَ الْجُزْءُ الَّذِي
أَصْبَحَ مَغْمُورًا تَحْتَ مَاءِ الْبَحْرِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي اسْتَطَاعَتِنَا الْحُصُولُ
عَلَى آيَةِ بُذُورِ هُنَاكَ . لَكِنِّي افْتَرَضْتُ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ ثَمَّةَ نَبَاتَاتٍ

أُخْرَى فَوْقَ الْجَزِيرَةِ يُمَكِّنُ زَرَاعَتَهَا لِنَعْتِمِدَ عَلَيْهَا فِي طَعَامِنَا . وَ مَا
دَامَتْ لَدَيْنَا بُقُولٌ وَبَطَاطِسُ ، فَسَيَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ .

وَعَادَ فَرْتَزُ ، وَقَالَ : « لَقَدْ وَجَدْتُ صُنْدُوقًا يَحْتَوِي عَلَى
شُصُوصٍ وَخِيوطٍ لِصَيْدِ السَّمَكِ . »

وَوَجَدْنَا بَعْضَ الشُّبَّاكِ أَيْضًا . لَمْ تَكُنْ كَبِيرَةً ، لَكِنِّي قُلْتُ :
« يُمَكِّنُ أَنْ نَخِيطَها مَعًا ، بِاسْتِخْدَامِ مَا لَدَيْنَا مِنْ خِيطٍ . هِيَا نَبْحَثْ
عَنْ أَدَوَاتٍ أُخْرَى لِنَأْخُذَها مَعَنَا . »

وَجَمَعْنَا كُلَّ الْأَدَوَاتِ الَّتِي أُمَكَّنَّا الْعُثُورَ عَلَيْهَا .

قُلْتُ لِفَرْتَزُ : « هَلْ تَذْكُرُ أَنَّ السَّيِّدَ وَبِلَكِنَزَ قَالَ إِنَّهُ قَدْ أَحْضَرَ مَعَهُ
مِخْرَاتًا خَفِيفًا ؟ هَلْ نَأْخُذُ ذَلِكَ الْمِخْرَاتَ إِلَى الْجَزِيرَةِ ؟ »

قَالَ فَرْتَزُ : « لَا أَعْتَقِدُ أَنَّ الْحِمَارَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْرَ مِخْرَاتًا ؛ فَكَيْفَ
نَجْرُهُ نَحْنُ ؟ »

أَجَبْتُ : « حَقًّا ، لَا أَظُنُّ أَنَّ الْحِمَارَ يُمَكِّنُ أَنْ يَجْرَهُ ، كَذَلِكَ لَا
أَعْتَقِدُ أَنَّ الْبَقَرَةَ وَالْحِمَارَ يُمَكِّنُ أَنْ يَتَعَاوَنَا مَعًا فِي الْعَمَلِ . لَكِنِ
الْمِخْرَاتُ لَيْسَ ثَقِيلًا أَوْ كَبِيرًا جَدًّا . لِنَأْخُذْهُ ، وَسَيَأْتِي الْيَوْمَ الَّذِي نَشْعُرُ
فِيهِ بِالسَّعَادَةِ لِأَنَّنا أَخَذْنَاهُ مَعَنَا . »

وَنَمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى السَّفِينَةِ . وَانْتَظَرْنَا حَتَّى مُتْتَصِفِ نَهَارِ
الْيَوْمِ التَّالِي ، عِنْدَمَا أَصْبَحَتْ حَرَارَةُ الشَّمْسِ شَدِيدَةً ، وَبَدَأَ الْهَوَاءُ
يَهْبُ مِنْ الْبَحْرِ إِلَى الْبَرِّ .

وَنَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ ، فَرَأَيْتُ أَنَّنَا قَدْ نَوَاجِهَ رِيَا حَادَّةً مِمَّا نَحْتَاجُ
إِلَيْهَا ؛ لِأَنَّ مَنَظَرَ السَّمَاءِ كَانَ يُنْذِرُ بِاقْتِرَابِ عَاصِفَةٍ . وَرَفَعْنَا شِرَاعًا
مَتِينًا عَلَى قَارِبِنَا ، وَبَدَأْنَا الْإِبْحَارَ .

فِي بَدَايَةِ الرِّحْلَةِ ، كَانَ الْهَوَاءُ ضَعِيفًا ، وَتَحَرَّكَ الْقَارِبُ بِطُءٍ
شَدِيدٍ .

قَالَ فَرْتَزُ : « أَظُنُّ أَنَّهُ يُمَكِّنُ صَيْدَ سَمَكَةٍ وَنَحْنُ فِي طَرِيقِنَا إِلَى
الشَّاطِئِ . »

وَأَنْزَلْنَا إِلَى الْمَاءِ خَيْطَ صَيْدٍ مِنْ فَوْقِ حَافَةِ الْقَارِبِ ، وَظَلَّلْنَا نَجْرَهُ
خَلْفَنَا فِي الْمَاءِ أَثْنَاءَ إِبْحَارِنَا . وَفَجْأَةً شَعَرْنَا بِشَيْءٍ يَجْذِبُ خَيْطَ الصَّيْدِ
جَذْبًا شَدِيدًا . وَلِحُسْنِ الْحِظِّ كُنَّا قَدْ اسْتَخْدَمْنَا أَقْوَى خَيْطِ صَيْدٍ
لَدَيْنَا ، وَكَانَ الشَّيْءُ الَّذِي يَجْذِبُنَا مِنَ الْقُوَّةِ بِحَيْثُ جَعَلَ الْقَارِبَ
يَتَرَاوَعُ إِلَى الْخَلْفِ .

صَاحَ فَرْتَزُ : « إِنَّ السَّمَكَةَ تَجْذِبُنَا إِلَى غُرْضِ الْبَحْرِ ! سَتَذْهَبُ
بِنَا بَعِيدًا ! »



قُلْتُ : « لَا بُدَّ أَنْ نَقْطَعَ خَيْطَ الصَّيْدِ . »

قَالَ فَرْتَز : « لَا ، لَا ، دَعْنَا نَنْتَظِر . »

وَأَمْسَكْنَا بِالْمَجَادِيفِ ، وَأَخَذْنَا نُجَدِّفُ بِكُلِّ مَا أَوْتِينَا مِنْ قُوَّةٍ ، لَكِنْ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ إِلَّا رِيحٌ ضَعِيفَةٌ جِدًّا تُسَاعِدُنَا . وَوَجَدْنَا الشَّيْءَ الَّذِي فِي الشَّصِّ يَجْذِبُ الْقَارِبَ إِلَى أْبَعَدَ فَأَبَعَدَ دَاخِلَ الْبَحْرِ .

قُلْتُ : « أَتَمْنَى أَنْ تَهْبُ الرِّيحُ . »

وَفِي اللَّحْظَةِ نَفْسِهَا ، بَدَأَتْ الرِّيحُ تَهْبُ ، وَانْدَفَعَ الْقَارِبُ فِي اتِّجَاهِ الشَّاطِئِ . وَاشْتَدَّ هُبُوبُ الرِّيحِ ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ الشَّرَاعَ قَدْ يَطِيرُ بَعِيدًا ، وَظَلَلْنَا نَتَحَرَّكُ فَوْقَ الْمَاءِ بِسُرْعَةٍ تَتَزَايَدُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ . وَأَخِيرًا أَلْقَتِ الْأَمْوَاجُ بِالْقَارِبِ فَوْقَ الشَّاطِئِ بِقُوَّةٍ شَدِيدَةٍ ، حَوَّلَتْهُ إِلَى قِطْعٍ مُبَعَثَرَةٍ !

وَكَانَتْ زَوْجَتِي مَعَ بَقِيَّةِ الْأَوْلَادِ يَنْتَظِرُونَا وَمَعَهُمُ الرِّحَافَةُ . وَبِسُرْعَةٍ نَقَلْنَا حَوَائِجَنَا مِنَ الْقَارِبِ ، وَوَضَعْنَاهَا عَلَى الرِّحَافَةِ .

قُلْتُ : « أَخِيرًا ، نَقَلْنَا كُلَّ شَيْءٍ . »

أَجَابَ فَرْتَز : « لَا ، لَا ، دَعُونَا نَرَى مَا إِذَا كَانَتِ السَّمَكَةُ لَا تَزَالُ

مَعَنَا . »

وَنَزَلَ إِلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ قَالَ : « نَعَمْ ، إِنَّهَا لَا تَزَالُ هُنَا . لَقَدْ تَوَقَّفْتُ حَرَكَتَهَا . » وَاسْتَطَعْنَا بِمَشَقَّةٍ أَنْ نَجِرَّ السَّمَكَةَ الْكَبِيرَةَ إِلَى الْأَرْضِ ، وَأَنْ نَضَعَهَا فَوْقَ الرِّحَافَةِ .

قُلْتُ : « سَتَوْفُرُ لَنَا هَذِهِ السَّمَكَةُ الطَّعَامَ لِأَيَّامٍ عَدِيدَةٍ ، إِذَا لَمْ تَفْسُدَ . لَا بُدَّ أَنْ نَضَعَ جُزْءًا مِنْهَا فِي الْمِلْحِ لِحِفْظِهِ . »

قَالَ إِرْنَسْتُ : « لَكِنَّا أَصْبَحْنَا الْآنَ بِغَيْرِ قَارِبٍ ، مَاذَا نَفْعَلُ ؟ »

قُلْتُ : « سَنَأْخُذُ الْبِرَامِيلَ الَّتِي اسْتَعْدَمْنَاهَا لِصِنْعِ الْقَارِبِ ، وَسَتُفِيدُنَا فِي حِفْظِ الطَّعَامِ وَالْأَشْيَاءِ الْآخَرَى . وَعَلَيْكَ ، يَا إِرْنَسْتُ ، أَنْ تَسِيرَ بِمُحَاذَةِ الشَّاطِئِ ، بَعْدَ الْمَكَانِ الَّذِي أَلْقَتِ الْأَمْوَاجُ بِالْأَخْشَابِ عَلَيْهِ . أَظُنُّ أَنَّ الْأَمْوَاجَ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ قَدْ أَلْقَتِ بِأَحَدِ زَوَارِقِ السَّفِينَةِ هُنَاكَ . »

وَكَانَ هُنَاكَ زَوْرَقٌ فِعْلًا ، لَكِنَّهُ كَانَ شِبْهَ مُحْطَمٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ اسْتَطَعْنَا تَرْمِيمَهُ . وَهَكَذَا أَصْبَحَ لَدَيْنَا زَوْرَقٌ أَصْغَرُ ، لَكِنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي صَنَعْنَاهُ بِأَنْفُسِنَا . وَتَنَاوَلْنَا عَشَاءَنَا بِجُزْءٍ مِنَ السَّمَكَةِ وَكَانَ مَذَاقُهَا طَيِّبًا جِدًّا . وَاحْتَفَظْتُ زَوْجَتِي بِجُزْءٍ مِنْهَا لَطْعَامِنَا فِي الْيَوْمِ التَّالِي ، وَوَضَعْتُ الْبَاقِيَ فِي الْمِلْحِ ، وَحَفِظْتُهُ فِي بِرْمِيلٍ .

بَعْدَ أَنْ تَنَاوَلْنَا طَعَامَ الْعِشَاءِ ، جَلَسْنَا حَوْلَ النَّارِ نَتَحَدَّثُ عَنِ
الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ نَقُومَ بِهَا خِلَالَ الْأَيَّامِ الْمُقْبِلَةِ .

قَالَتْ زَوْجَتِي : « يَجِبُ أَنْ نُقِيمَ كُوْخًا نَضَعُ فِيهِ الْأَدَوَاتِ
وَالْأَشْيَاءَ الْآخَرَى كَبِيرَةَ الْحَجْمِ . إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْمِلَ هَذِهِ
الْمَجَارِفَ كُلَّمَا صَعِدْنَا إِلَى الْمَنْزِلِ أَوْ هَبَطْنَا مِنْهُ . »

قُلْتُ : « حَقًّا ، وَيَجِبُ أَيْضًا أَنْ نُقِيمَ بَعْضَ الْحِطَائِرِ لِلْحَيَوَانَاتِ ،
كَمَا يَجِبُ أَنْ نُمَهِّدَ الْأَرْضَ لِزِرَاعَةِ حَدِيقَةٍ . »

قَالَ فَرْتَزُ : « يَجِبُ أَنْ تَكُونَ حَدِيقَةٌ كَبِيرَةٌ ؛ فَإِنَّ لَدَيْنَا بُدُورًا
كَثِيرَةً : قَمْحٌ أَحْضَرْنَاهُ مِنَ السَّفِينَةِ ، وَبَطَاطِسُ ، وَيَقُولُ ، كَمَا أَنَّهُ
يُمْكِنُ الْعُثُورُ عَلَى نَبَاتَاتٍ أُخْرَى فَوْقَ الْجَزِيرَةِ ، يُمْكِنُ أَنْ نَزَرَعَهَا فِي
الْحَدِيقَةِ . »

قُلْتُ : « هَذَا صَحِيحٌ ، لَكِنْ هُنَاكَ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ ؛ لَا
بُدَّ أَنْ نُقِيمَ سَوْرًا حَوْلَ الْحَدِيقَةِ ، وَإِلَّا فَإِنَّ الْحَيَوَانَاتِ سَتَدْخُلُهَا ،
وَتَأْكُلُ النَّبَاتَاتِ قَوْرًا أَنْ تَنْبَتَ فَوْقَ سَطْحِ الْأَرْضِ . »

قَالَ إِرْنِسْتُ ، الَّذِي كَانَ كَسُولًا بِطَبْعِهِ وَلَا يُحِبُّ الْعَمَلَ :
« لَكِنْ هَذِهِ أَعْمَالٌ كَثِيرَةٌ جَدًّا ! »

قَالَتْ زَوْجَتِي : « لَكِنْ تَمَّ مَوْضُوعٌ لَمْ أَسْمَعْ عَنْهُ شَيْئًا مِنْكُمْ .
لَقَدْ أَخْبَرْتُمُونِي بِكُلِّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَأْكُلَهَا فِي الْعَامِ
الْقَادِمِ ، لَكِنْكُمْ لَمْ تَقُولُوا لِي شَيْئًا عَمَّا سَنَأْكُلُهُ الْآنَ ! »

قُلْتُ : « صَحِيحٌ ، لَيْسَتْ لَدَيْنَا الْآنَ بَطَاطِسُ لِلْأَكْلِ ، لَكِنْ
يُمْكِنُ أَنْ نَجِدَ نَبَاتَاتٍ أُخْرَى تَنْمُو بِرِيًّا ، تُشَبِّهُ الْبَطَاطِسَ تَقْرِيبًا فِي
قِيَمَتِهَا . هُنَاكَ الْبَطَاطَا الْحُلُوةُ ، وَأَنَا مُوقِنٌ مِنْ وَجُودِهَا فَوْقَ هَذِهِ
الْجَزِيرَةِ . »

وَفِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ مِنَ الْيَوْمِ التَّالِيِ ، خَرَجْنَا كُلُّنَا لِلْبَحْثِ
عَنْهَا .

قُلْتُ : « سَتَجِدُونَ الْبَطَاطَا الْحُلُوةَ تَنْمُو فِي التُّرْبَةِ الرَّمْلِيَّةِ ، كَمَا
سَتَجِدُونَهَا تَتَسَلَّقُ نَبَاتًا آخَرَ مِثْلَ شَجَرَةٍ صَغِيرَةٍ أَوْ بَعْضِ عِيدَانِ
الْقَصَبِ ؛ فَإِنَّهَا نَبَاتٌ مُتَسَلِّقٌ . »

انْقَضَى بَعْضُ الْوَقْتِ ، وَلَمْ يَعْثُرْ أَحَدٌ مِنَّا عَلَى شَيْءٍ ، ثُمَّ عَشَرَ
فَرْتَزُ عَلَى نَبَاتٍ ، وَنَادَانِي قَائِلًا : « هَلْ هَذِهِ هِيَ الْبَطَاطَا الْحُلُوةُ ؟ »

قُلْتُ : « رُبَّمَا تَكُونُ هِيَ . احْفَرِ الْأَرْضَ وَحَاوِلْ أَنْ تَصِلَ إِلَى
الْجَذْرِ . »

وَبَدَأَ فَرْتَزَ الْحَفَرَ ، ثُمَّ نَادَانِي إِرْنَسْتُ قَائِلًا : « هَا هُنَا نَبَاتٌ ، فَهَلْ هُوَ مَا نَبَحْتُ عَنْهُ ؟ »

قُلْتُ : « قَدْ تَكُونُ الْبَطَاطَا الْحُلْوَةُ ، لَكِنْ لَا بُدَّ أَنْ تَبْدَأَ أَنْتَ أَيْضًا فِي الْحَفْرِ ؛ لِئَنِّي مَا إِذَا كُنْتُ تَسْتَطِيعُ الْعُثُورَ عَلَى الْجَذْرِ . إِنْ لَوْنُهُ أَزْرَقٌ أَوْ أَحْمَرٌ قَاتِمٌ ، وَقَدْ يَكُونُ حَجْمُهُ كَبِيرًا ، أَكْبَرَ مِنْ حَجْمِ كُرَّةِ الْقَدَمِ ! »

وَكَانَ فَرْتَزُ لَا يَزَالُ يَحْفِرُ . لَقَدْ حَفَرَ إِلَى عُمُقٍ نِصْفِ مِثْرٍ ، ثُمَّ قَالَ : « لَقَدْ حَفَرْتُ نِصْفَ مِثْرٍ ، لَكِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَجِدَ أَيَّ جَذْرِ بَعْدَ . »

قُلْتُ : « فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ يَكُونُ الْجَذْرُ عَلَى عُمُقٍ مِثْرٍ . اسْتَمِرَّ فِي الْحَفْرِ . »

أَمَّا إِرْنَسْتُ ، فَقَدْ وَجَدَ الْجَذْرَ عَلَى عُمُقٍ نِصْفِ مِثْرٍ تَقْرِيبًا ، فَشَعَرَ بِسَعَادَةٍ غَامِرَةٍ . وَبَعْدَهُ مُبَاشَرَةً وَجَدَ فَرْتَزُ جَذْرَهُ . كَانَ الْجَذْرَانِ جِدًّا كَبِيرَيْنِ ، فَحَفَرْنَا حَتَّى أَخْرَجْنَاهُمَا ، وَأَعْدَدْنَاهُمَا لِتَحْمِلِهِمَا إِلَى الْبَيْتِ ، ثُمَّ بَحَثْنَا حَوْلَنَا لَعَلَّنَا نَجِدُ الْمَزِيدَ ، وَقَدْ وَجَدْنَا عَدَدًا لَا بَأْسَ بِهِ مِنْهَا .

قُلْتُ : « هَذَا حَسَنٌ ، سَيَكُونُ لَدَيْنَا شَيْءٌ يُمَكِّنُ أَنْ نَسْتَخْدِمَهُ

بَدَأَ مِنَ الْبَطَاطِسِ ، وَنَصْنَعُ مِنْهُ نَوْعًا مِنَ الْخُبْزِ . »

وَكَانَ جَاكُ قَدْ ابْتَعَدَ عَنَّا ، ثُمَّ عَادَ قَائِلًا : « لَقَدْ وَجَدْتُ بَعْضَ الْبَطَاطِسِ - بَطَاطِسَ حَقِيقِيَّةٍ . »

قُلْتُ : « لَا ، الْبَطَاطِسُ لَا تَنْمُو بِرِيَا . »

قَالَ وَهُوَ يَعْرِضُ أَمَامِي بَعْضَ الْبَطَاطِسِ الْخَضِرَاءِ اللَّوْنِ : « لَكِنْ انْظُرُوا إِلَى هَذِهِ . »

قُلْتُ : « إِنَّهَا لَيْسَتْ الْبَطَاطِسُ الَّتِي تَعْرِفُهَا ، إِنَّهَا نَوْعٌ آخَرُ مِنَ الْبَطَاطَا الْحُلْوَةِ . إِنَّ لَهَا قِشْرَةً خَضِرَاءَ ، وَهِيَ صَالِحَةٌ تَمَامًا لِلْأَكْلِ . يَجِبُ أَنْ نَعْثَرَ عَلَى أَكْبَرِ كَمِيَّةٍ مِنْهَا ؛ لِكَيْ نَزَرِّعَهَا فِي حَدِيقَتِنَا . كَمَا نَسْتَطِيعُ اسْتِخْدَامَ بَعْضِهَا فِي الْوَقْتِ الْحَالِي ، إِلَى أَنْ نَجِدَ غَيْرَهَا . وَالْآنَ هِيََا لِكَيْ نَعُودَ إِلَى الْمَنْزِلِ . »

وَهَكَذَا عُدْنَا إِلَى بَيْتِ الشُّجْرَةِ .

قُلْتُ : « عَلَيْنَا أَنْ نَبْدَأَ بِتَقْطِيعِ الْبَطَاطَا الْحُلْوَةِ إِلَى قِطْعٍ صَغِيرَةٍ وَغَسْلِهَا بِعَيْنَايَةٍ شَدِيدَةٍ ؛ لِأَنَّ مَذَاقَ عُصَارَتِهَا سَيِّئٌ جَدًّا وَشَدِيدُ الْخُطُورَةِ أَيْضًا . يَجِبُ أَنْ نَغْسِلَهَا ، إِلَى أَنْ نَطْهَرَهَا تَمَامًا مِنَ الْمَذَاقِ السَّيِّئِ قَبْلَ طَهْيِهَا . »

وَقَامَتْ زَوْجَتِي بِطَهْيِ الْبَطَاطَا الْحُلْوَةِ . وَكَانَ مَذَاقُهَا يُشْبِهُ
الْبَطَاطِسَ كَثِيرًا ، لَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ فِي مِثْلِ جَوْدَتِهَا . كَمَا أَخَذْتُ
بَعْضَهَا ، وَصَنَعْتُ مِنْهُ نَوْعًا مِنَ الْخُبْزِ ، كَانَ صَلْبًا ، لَكِنَّا وَجَدْنَاهُ
مَقْبُولًا . وَحَلُّ الْمَسَاءِ ، فَوَجَدْنَا لَدَيْنَا خُبْزَ الْبَطَاطَا الْحُلْوَةِ وَبَعْضَ
السَّمَكِ لِعَشَائِنَا .

قُلْتُ : « عِنْدَمَا نَقُومُ بِإِعْدَادِ الْحَدِيقَةِ لِلزَّرَاعَةِ ، يَجِبُ أَنْ نُحْضِرَ
كَثِيرًا مِنَ الْخَيْزُرَانِ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ نَصْنَعَ مِنْهُ سَوْرًا حَوْلَ الْحَدِيقَةِ .
كَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ نُقِيمَ حَظَائِرَ لِلْحَيَوَانَاتِ . »

قَالَ إِرْنِسْتُ : « لَنْ نَحْتَاجَ إِلَى حَظَائِرَ كَثِيرَةٍ ، فَلَيْسَ لَدَيْنَا إِلَّا
الْحِمَارُ وَالْبَقَرَةُ وَالْمَعْزُ ، وَهَذِهِ نَحْتَاجُ إِلَى أَرْبَعَةِ حَظَائِرَ صَغِيرَةٍ . »

قُلْتُ : « لَكِنَّكَ سَرْعَانَ مَا سَتَجِدُ لَدَيْكَ عَدَدًا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ
أَكْبَرَ بِكَثِيرٍ مِنْ هَذَا . »

وَكُنْتُ مُصِيبًا فِي قَوْلِي .

الفصل الثاني عشر إِعْدَادُ الْحَدِيقَةِ لِلزَّرَاعَةِ

اسْتَيْقَظْنَا فِي الصَّبَاحِ مُبَكِّرِينَ لِنَبْدَأَ فِلَاحَةَ حَدِيقَتِنَا ، وَالْجَوُّ لَا
يَزَالُ بَارِدًا . وَأَخَذْتُ أَنَا وَفَرْتَزُ وَجَاكَ الْمَجَارِفَ ، وَأَخَذَ فِرَانْسِيْسُ
الشُّوْكَةَ ، رَغْمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي سِنِّ تَسْمَحُ لَهُ بِأَنْ يُقَدِّمَ لَنَا مَعُونَةً
كَبِيرَةً .

وَأَنهَمَكُنَا كُلُّنَا فِي الْعَمَلِ نَقْلِبُ الْأَرْضَ . وَبَعْدَ مُضِيِّ وَقْتٍ ،
عِنْدَمَا شَعَرْنَا بِالتَّعَبِ ، قُلْتُ : « هَيَّا نَذْهَبُ لِنَجْمَعَ فُضْلَاتِ
الْحَيَوَانَاتِ مِنَ الْأَمَاكِينِ الَّتِي قَيَّدْنَاهَا فِيهَا أَثْنَاءَ اللَّيْلِ . سَنَأْتِي بِهِذِهِ
الْفُضْلَاتِ إِلَى الْحَدِيقَةِ ، لِنَتَّكُونَ سَمَادًا . »

وَعُدْنَا إِلَى تَقْلِيلِ الْأَرْضِ مَرَّةً أُخْرَى ، مُسْتَفِيدِينَ بِبُرُودَةِ الْمَسَاءِ .
وَجَلَسْنَا لِلْعَشَاءِ مُرْهَقِينَ لِلْغَايَةِ ، وَتَنَاوَلْنَا السَّمَكَ وَالْبَطَاطَا

قُلْتُ : « يَجِبُ أَنْ نُوَاصِلَ عَدَا تَقْلِيْبِ الْأَرْضِ ، ثُمَّ نَذْهَبَ لِقَطْعِ كَمِيَّةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْخَيْزُرَانِ ، وَاحْضَارِهَا هُنَا لِإِقَامَةِ سَوْرٍ حَوْلَ حَدِيقَتِنَا ، وَلِبْنَاءِ حِظَائِرٍ لِحَيَوَانَاتِنَا . »

سَأَلَ جَاكُ : « هَلْ يَجِبُ أَنْ نُقِيمَ حَظِيرَةً كَبِيرَةً لِلْبَقَرَةِ ؟ »

أَجَبْتُ : « لَا ، فَسَتَكُونُ فِيهَا بِمُفَرَّدِهَا . وَالْآنَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَذْهَبُوا إِلَى الْفِرَاشِ ؛ لِتَكُونُوا عَدَا مُسْتَعِدِّينَ لِتَقْلِيْبِ الْأَرْضِ بِكُلِّ هِمَّةٍ ، وَبَعْدَ عَدِّ سَنَذْهَبُ لِاحْضَارِ الْخَيْزُرَانِ . »

سَأَلَ جَاكُ : « كَيْفَ سَتَمَكِّنُ مِنْ نَقْلِ كَمِيَّةِ الْخَيْزُرَانِ الْكَبِيرَةِ هَذِهِ الْمَسَافَةَ الطَّوِيلَةَ ؟ هَلْ يَسْتَطِيعُ الْحِمَارُ أَنْ يَجُرَّ كَمِيَّةً كَبِيرَةً مِنَ الْخَيْزُرَانِ ؟ »

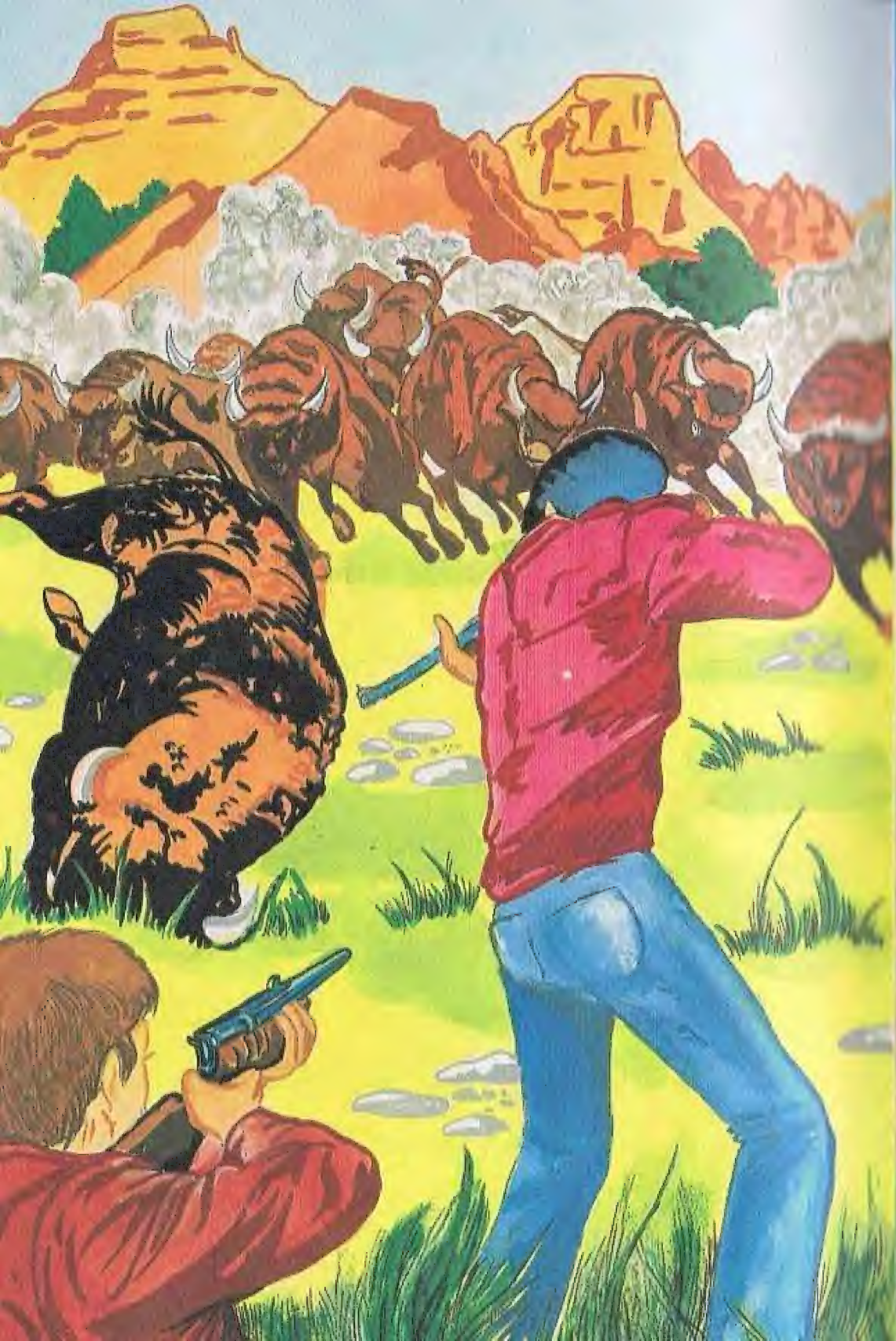
قُلْتُ : « لَا ، لَنْ نَذْهَبَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَحْضَرْنَا مِنْهُ الْخَيْزُرَانَ فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ . سَنَذْهَبُ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ ، وَسَنَهْتَدِي إِلَى وَسِيلَةٍ أَفْضَلَ كَثِيرًا لِنَقْلِ الْخَيْزُرَانِ إِلَى جِوَارِ مَنْزِلِنَا فَوْقَ الشَّجَرَةِ . »

قَالَ جَاكُ : « هَلْ ثُمَّ شَيْءٌ أَفْضَلُ مِنَ الْحِمَارِ لِحِجْرِ الْخَيْزُرَانِ ؟ »

قُلْتُ : « نَعَمْ ، ثَمَّةَ وَسِيلَةٍ أَفْضَلُ كَثِيرًا ؛ سَنَسْتَخْدِمُ النَّهْرَ ،

سَتَقْطَعُ الْخَيْزُرَانَ ، ثُمَّ نَسْحَبُهُ إِلَى مَاءِ النَّهْرِ ، وَسَيَحْمِلُهُ النَّهْرُ إِلَى قُرْبِ مَنْزِلِنَا فَوْقَ الشَّجَرَةِ . »

قَالَ جَاكُ : « حَقًّا ، سَتَكُونُ هَذِهِ أَفْضَلَ طَرِيقَةٍ . »



الفصل الرابع عشر الجاموس

انْطَلَقْنَا فِي طَرِيقِنَا لِنُحْضِرَ الْخَيْزُرَانَ ، لِإِقَامَةِ سُورٍ لِحَدِيقَتِنَا ،
وَحَظَائِرَ لِحَيَوَانَاتِنَا . وَجَاءَتْ مَعِيَ زَوْجَتِي وَالْأَوْلَادُ ، كَمَا جَاءَ
الْكَلْبَانِ طَرِكَ وَفَلُورَا ، كَذَلِكَ أَخَذْنَا الْحِمَارَ لِيَجِرَ الْخَيْزُرَانَ إِلَى شَاطِئِ
النَّهْرِ . وَلَآنُنَا كُنَّا ذَاهِبِينَ إِلَى مِنتَقَةٍ لَمْ يَسْبِقْ أَنْ ذَهَبْنَا إِلَيْهَا ، فَقَدْ
أَخَذْنَا مَعَنَا بِنَادِقَنَا . وَكَانَ اصْطِحَابُ الْكَلْبَيْنِ أَمْرًا غَيْرَ مُوَفَّقٍ ، فِي
حِينَ حَالَفْنَا التَّوْفِيقُ فِي حَمَلِ بِنَادِقِنَا مَعَنَا .

وَصَعِدْنَا مَعَ مَجْرَى النَّهْرِ ، فَوَجَدْنَا كَثِيرًا مِنَ الْخَيْزُرَانِ ،
فَقَطَعْنَاهُ ، وَرَبَطْنَاهُ مَعًا ، وَقَامَ الْحِمَارُ بِجَرِّهِ إِلَى شَاطِئِ النَّهْرِ ،
اسْتِعْدَادًا لِيَحْمِلَهُ تَيَّارُ النَّهْرِ مَعَهُ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْبَحْرِ ، ثُمَّ تَنَاوَلْنَا
الطَّعَامَ ، وَاسْتَرَحْنَا .

وَانْصَرَفَ جَاكُ ، ثُمَّ عَادَ بَعْدَ قَلِيلٍ قَائِلًا : « أَبِي ، لَقَدْ رَأَيْتُ

عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ الْأُفْيَالِ ، فَعَلَى مَقَرَّةٍ مِنَّا مَكَانَ لَيْسَتْ بِهِ أَشْجَارٌ ،
رَأَيْتُ بِهِ عَشْرَةَ أُفْيَالٍ أَوْ خَمْسَةَ عَشَرَ .

قُلْتُ : « جَاكَ ، يَجِبُ أَنْ تَكْفُ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ السَّخَافَاتِ ؛
فَلَيْسَ ثَمَّةَ أُفْيَالٍ فِي هَذِهِ الْمِنْطَقَةِ . تَوْجَدُ الْأُفْيَالُ فَقَطْ فِي الْهِنْدِ أَوْ
أَفْرِيقِيَا ، لَكِنْ لَا تُوجَدُ أُفْيَالٌ هُنَا . »

قَالَ : « لَكِنْ هُنَا أُفْيَالٌ ! تَعَالَ لِنَرَى . »

وَذَهَبْنَا كُلُّنَا لِنَرَى أُفْيَالَ جَاكَ . وَعِنْدَمَا خَرَجْنَا مِنْ بَيْنِ
الْأَشْجَارِ ، رَأَيْتُ قَطِيعًا مِنَ الْجَامُوسِ .

وَوَلَّلْنَا نَفْتَرِبُ حَتَّى أَصْبَحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْجَامُوسِ حَوَالِي أَرْبَعِينَ
مِثْرًا . كَانَتْ تَقِفُ فِي مَكَانِهَا تَنْظُرُ إِلَيْنَا ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْ لَهَا
قَطُّ أَنْ شَاهَدَتْ إِنْسَانًا . لَمْ يَكُنْ يَظْهَرُ عَلَيْهَا أَنَّهَا غَاضِبَةٌ أَوْ خَائِفَةٌ ،
بَلْ كَانَتْ تَقِفُ سَاكِئَةً هُنَاكَ ، تَنْظُرُ إِلَيْنَا بَعُيُونِهَا الْكَبِيرَةَ الْمُسْتَدِيرَةَ .

وَأَسْتَطَعْتُ أَنْ أَرَى صَغِيرَيْنِ وَسَطَ الْقَطِيعِ ، ثُمَّ بَدَأَ طَرِكَ وَفَلُورَا
يَتَوَاتَبَانِ ، وَهُمَا يُصْدِرَانِ ضَجَّةً عَالِيَةً ، وَيَسْبِيهَا ظَهَرُ الْغَضَبِ الشَّدِيدِ
عَلَى الْجَامُوسِ ، وَبَدَأَ الْقَطِيعُ يَتَقَدَّمُ نَاحِيَّتَنَا ، وَأَصْبَحْنَا فِي خَطَرٍ

شَدِيدٍ . وَانْدَفَعَ الْكَلْبَانِ يُحَاوِلَانِ دَفْعَ الْجَامُوسَتَيْنِ الصَّغِيرَتَيْنِ
نَاحِيَّتَنَا ، لَكِنْ بَقِيَّةُ الْقَطِيعِ ظَلَّ يَتَقَدَّمُ نَحُونَا .

عِنْدَئِذٍ قُمْتُ أَنَا وَفَرْتَزُ بِإِطْلَاقِ الرِّصَاصِ ، فَسَقَطَتْ جَامُوسَةٌ
قَتَلَتْهَا الطُّلُفَاتُ ، وَاسْتَدَارَتِ الْبَقِيَّةُ وَابْتَعَدَتْ ، وَلَعَلَّهَا لَمْ تَسْمَعْ مِنْ
قَبْلُ صَوْتِ إِطْلَاقِ رِصَاصٍ . وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّعْبِ أَنْ
يُرَاوِدَنِي أَيُّ أَمَلٍ فِي إِمْكَانِ النِّجَاةِ مِنْ ذَلِكَ الْخَطَرِ بِمِثْلِ تِلْكَ
السُّهُولَةِ .

قُلْتُ لِفَرْتَزُ وَارْنَسْتُ : « هَيَّا نُمْسِكْ بِهِاتَيْنِ الْجَامُوسَتَيْنِ
الصَّغِيرَتَيْنِ . يَجِبُ أَنْ نَأْخُذَهُمَا مَعَنَا . »

وَتَقَدَّمْنَا ، وَرَبَطْنَا حَبَالًا حَوْلَ عُنُقَيْهِمَا ، فَسَمَحْنَا لَنَا أَنْ نَقُودَهُمَا
بِسُهُولَةٍ تَامَّةٍ ، ثُمَّ أَسْرَعْنَا نَبْتَعِدُ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ سَمَحَتْ لَنَا بِهَا حَرَكَةُ
الْحَيَوَانَيْنِ ، وَاخْتَفَيْنَا وَسَطَ الْأَشْجَارِ .

قُلْتُ : « أَمَّا الْآنَ ، فَسَتَتْرِكُ الْخَيْزُرَانَ إِلَى الْغَدِ . سَنَاتِي غَدًا
وَنَأْخُذُهُ ، لَكِنْ يَجِبُ أَنْ نَأْخُذَ الْجَامُوسَتَيْنِ الصَّغِيرَتَيْنِ مَعَنَا . إِنَّ
لَهُمَا فَائِدَةً كَبِيرَةً ، وَسَرَضِعُهُمَا مِنْ لَبَنِ الْبَقَرَةِ . »

وَقَدْ سَمَحَتْ الْبَقَرَةُ لِلْجَامُوسَتَيْنِ الصَّغِيرَتَيْنِ بِأَنْ تَرْضَعَا مِنْهَا .

قال جاك : « لكن ، على هذا النحو لن يبقى لنا لبن ! »

قلت : « بل سيبقى لنا لبن المعز ، أما هاتان الجاموستان ، فإن لهما أهمية كبيرة . »

قال إرنست : « يبدو عليك السرور الشديد لحصولنا عليهما . »

أجبت : « حقا ، أنا سعيد جدا ؛ فقد وجدت الآن حلا لمسألتين كبيرتين . »

قال إرنست : « ما هما ؟ »

أجبت : « عندما تتوقف البقرة عن إعطائنا مزيداً من اللبن ، فإن هذا يمكن أن يكون نهاية ما لدينا من لبن ، ولكن هاتان الجاموستان ستكبران وسيكون لهما صغار ، وبذلك سيظل اللبن متوفراً لدينا ما دُمنا في حاجة إليه ، كما ستكون لدينا أعداد متزايدة من الجاموس . إن لبن الجاموس جد ممتاز ؛ فهو غني بالقشدة ، ويمكن أن نصنع منه الزبد . »

سأل فرترز : « وما هي المسألة الثانية ؟ »

أجبت : « لعلك تذكر المحراث الذي أحضرناه من السفينة ، والذي قلت إنني لا أدري ما الذي يمكن أن يجره . إن الجاموس

لوي جداً ، ويمكن أن يجر لنا المحراث . وهكذا أصبح لدينا الآن محراث ، كما ضمنا استمرار الحصول على اللبن . »

قال إرنست : « ليس الآن . »

أجبت : « حقا ، ليس الآن ، لكن في العام القادم . يجب ألا نفكر في اليوم فقط ، بل أن نفكر في الأعوام القادمة أيضاً ، حتى ولو كانت حياتنا في الوقت الحاضر حافلة بالمشقات . »

في اليوم التالي ، عدنا وقمنا بتقطيع لحم الجاموسة التي اصطدناها برصاصنا ، وأحضرنا معنا كمية كبيرة من لحمها ، وضعناها في البراميل مع الملح ؛ لكي توفّر لنا طعاماً في فصل الشتاء ، كما قمنا بوضع الخيزران في النهر ، فحملته تيار الماء إلى مكان قريب من بيت الشجرة .

ومن هناك ، سحبناها إلى بيت الشجرة ، وجلسنا نصنع منها سوراً للحديقة . وبعد بضعة أيام ، عندما انتهينا من هذه المهمة ، قلت : « والآن ، يجب أن تبدأ في إقامة حظائر للحيوانات . »

قال إرنست : « ستحتاج إلى ثلاث حظائر فقط . »

قلت : « لماذا ثلاث فقط ؟ »

قال إرنست : « نَعَمْ ، نَحْنُ فِي حَاجَةٍ إِلَى مَكَانٍ لِلْجَامُوسِ ،
وَمَكَانٍ لِلْبَقَرَةِ ، وَمَكَانٍ لِلْمَعْزِ ، وَلَعَلَّنَا نَقِيمُ بَيْتًا وَفَنَاءً لِلدَّجَاجِ . »

قُلْتُ : « وَلَكِنْ مَاذَا عَنِ الْحِمَارِ ؟ »

قال إرنست : « لَقَدْ هَرَبَ الْحِمَارُ . »

قُلْتُ : « هَرَبَ ؟ »

قال : « نَعَمْ ، هَرَبَ . فَأَنَا لَا أَرَاهُ فِي أَيِّ مَكَانٍ حَوْلَنَا . »

قُلْتُ : « هَذَا صَحِيحٌ ، لَكِنِّي أَتَوَقَّعُ عَوْدَتَهُ ، أَتَوَقَّعُ عَوْدَتَهُ عَنْ
يَقِينٍ . سَنَقِيمُ بُيُوتًا لَهَا كُلُّهَا ، وَلَنْ نَفْقِدَ الْأَمَلَ . »

بَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ ، كُنَّا نَتَنَاوَلُ الْإِفْطَارَ ، عِنْدَمَا جَاءَ فِرَانْسِيْسُ
قَائِلًا : « عِنْدِي شَيْءٌ سَتَسُرُّكُمْ رُؤْيَتُهُ . » وَكَانَ ذَلِكَ صَحِيحًا ، فَقَدْ
وَجَدْنَا فُلُورًا وَمَعَهَا سِتَّةُ صِغَارٍ . وَهَكَذَا أَصْبَحَ عِنْدَنَا ثَمَانِيَةُ كِلَابٍ .

قُلْتُ : « هَذَا حَسَنٌ ، كُلُّ مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْآنَ هُوَ الْعُشُورُ عَلَى
حِمَارِنَا . »

وَذَاتَ صَبَاحٍ ، أَثْنَاءَ أَنْهَمَا كُنَا فِي زِرَاعَةِ الْبَطَاطِيسِ بِحَدِيقَتِنَا ،

سَمِعْنَا صَوْتًا غَرِيبًا يَتَرَامَى إِلَيْنَا مِنْ بَعِيدٍ .

قُلْتُ : « تَرَى مَا هَذَا ؟ أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ يَصْدُرُّ عَنْهُ هَذَا
الصَّوْتُ ؟ »

وَقَدْ سَمِعَتِ الْكِلَابُ أَيْضًا ذَلِكَ الصَّوْتُ ، فَأَنْطَلَقَتْ مِنْهَا زَمَجَرَةٌ
الغَضَبِ ، وَظَهَرَ عَلَيْهَا التَّحَفُّزُ . وَفَتَشْنَا الْمِنْطَقَةَ الْمُحِيطَةَ بِنَا ، فَلَمْ
نَسْتَطِعْ أَنْ نَرَى أَيَّ عَدُوٍّ ، لَكِنَّ الْأَصْوَاتَ اسْتَمَرَّتْ ، وَأَخَذَتْ تَقْتَرِبُ
وَتَقْتَرِبُ ، وَازْدَادَتْ كِلَابُنَا قَلَقًا وَتَوَثُّرًا ، فَاضْطَرَرْتُ إِلَى رَبْطِهَا .

قُلْتُ : « أَيُّ حَيَوَانٍ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا ؟ »

عِنْدَئِذٍ أَنْزَلَ فِرْتَزُ بِنْدَقِيَّتَهُ ، وَبَدَأَ يَضْحَكُ ، وَقَالَ : « أَسْتَطِيعُ أَنْ
أَرَاهُ . إِنَّهُ لَيْسَ عَدُوًّا ، إِنَّهُ حِمَارُنَا . لَقَدْ عَادَ إِلَيْنَا . »

وَكَانَ هَذَا صَحِيحًا . وَاتَّضَحَ لَنَا أَنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ وَحْدَهُ ، وَإِنَّمَا مَعَ
حَيَوَانٍ آخَرَ يُشَبِّهُ الْحِمَارَ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ ، لَكِنَّهُ أَصْغَرُ حَجْمًا .

قُلْتُ : « إِنَّهَا حِمَارَةٌ وَحْشِيَّةٌ ، وَهِيَ جَمِيلَةٌ الشَّكْلَ وَقَوِيَّةٌ جَدًّا .
لَا بُدَّ أَنْ نَحَاوِلَ الْإِمْسَاكَ بِهَا . »

ثُمَّ قُلْتُ لِحَاكِ وَإِرْنِسْتِ : « يَجِبُ أَلَّا يَصْدُرَ عَنَّا أَيُّ صَوْتٍ .
سَأَحَاوِلُ أَنَا وَفِرْتَزُ أَنْ نُمْسِكَ بِهَا . »

وَتَقَدَّمَ فَرْتَزَ نَحْوَ حِمَارِنَا ، وَهُوَ يَقْدَمُ لَهُ بَعْضُ الْمِلْحِ فِي كَفِّهِ .
وَكَانَ لِحِمَارِنَا يُحِبُّ الْمِلْحَ ، فَتَقَدَّمَ نَحْوَ فَرْتَزَ ، وَتَقَدَّمَتِ الْحِمَارَةُ
الْوَحْشِيَّةُ مَسَافَةً قَصِيرَةً . وَعِنْدَمَا أَصْبَحَتْ قَرِيبَةً بِدَرَجَةٍ كَافِيَةٍ ، جِئْتُ
مِنْ خَلْفِهَا وَوَضَعْتُ حَبْلًا حَوْلَ عُنُقِهَا . وَقَدْ قَاوَمَتْنَا ، لَكِنَّا
اسْتَطَعْنَا أَخِيرًا أَنْ نُقَيِّدَهَا .

قُلْتُ : « لَعَلَّ الْحِمَارَةَ الْوَحْشِيَّةَ تَلِدُ صِغَارًا ، وَهَذَا سَيَجْعَلُ مِنَ
الْأَسْهَلِ أَنْ نُرَوِّضَهَا لِتَكُونَ نَافِعَةً لَنَا . »

وَكَانَ ذَلِكَ مَا حَدَثَ فِعْلًا .

وَكَانَتِ الدَّجَاجَاتُ تَرْقُدُ فَوْقَ الْبَيْضِ ، وَسَرَّعَانَ مَا أَصْبَحَ لَدَيْنَا
أَرْبَعُونَ كَتَكُوتًا . وَهَكَذَا أَصْبَحَ لَدَيْنَا عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ ،
يَجِبُ عَلَيْنَا إِطْعَامُهُ . لَقَدْ أَصْبَحَ لَدَيْنَا الْبَقَرَةُ ، وَالْحِمَارُ ، وَالْحِمَارَةُ
الْوَحْشِيَّةُ ، وَالْجَامُوسَتَانِ ، وَالْمَعَزُ ، وَالْكَلابُ ، وَالْقِرْدُ .

قُلْتُ : « عَلَيْنَا أَنْ نَعْمَلَ بِجِدٍّ حَتَّى نُوَفِّرَ الطَّعَامَ الْلازِمَ لِكُلِّ
هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ ، لِأَنَّ مَوْسِمَ الْأَمْطَارِ قَدْ اقْتَرَبَ . »

وَكُنَّا قَدْ أَحْضَرْنَا الْخَيْمَةَ مِنْ عَلَى الشَّاطِئِ ، فَمَلَأْنَاهَا
بِالْحَشَائِشِ الْجَافَةِ . وَجَمَعْنَا كَمِّيَّاتٍ مِنَ الْبَطَاطَا الْحُلُوةِ وَجَوْزِ
الْهِنْدِ ، وَوَضَعْنَاهَا فِي مَكَانٍ جَافٍ عِنْدَ جَذْعِ الشَّجَرَةِ .

الفصل الرابع عشر الاستعداد للشتاء

وَظَهَرَتْ فِي السَّمَاءِ سُحُبٌ دَاكِنَةٌ ، وَهَاجَ الْبَحْرُ ، وَتَحَطَّمَتِ
الْبَقَايَا الْأَخِيرَةُ لِسَفِينَتِنَا ، وَاخْتَفَتْ بِفِعْلِ الْأَمْوَاجِ .

قُلْتُ لِنَفْسِي : « سَيَكُونُ هُنَاكَ مَزِيدٌ مِنَ الْخَشَبِ عَلَى
الشَّاطِئِ ، لَكِنَّ أَمْوَاجَ الْبَحْرِ سَتَرْتَفِعُ وَتَصِلُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي
تَرَكْنَا فِيهِ الْقَارِبَ . »

قُلْتُ : « هَيَّا يَا أَوْلَادُ ، يَجِبُ أَنْ نَجْرَ ذَلِكَ الْقَارِبَ إِلَى مَكَانٍ
أَكْثَرَ ارْتِفَاعًا عَلَى الشَّاطِئِ ؛ حَتَّى لَا تَحْمِلَهُ أَمْوَاجُ الْعَوَاصِفِ إِلَى
عَرْضِ الْبَحْرِ ، كَمَا يَجِبُ أَنْ نَقْلِبَهُ لِكَيْ لَا يَمْتَلِئَ بِالْمَاءِ . »

وَأَنْحَدَرْنَا إِلَى الشَّاطِئِ ، وَسَحَبْنَا الْقَارِبَ إِلَى مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ فَوْقَ
رِمَالِهِ ، وَقَلْبْنَاهُ . وَبَعْدَ أَنْ انْتَهَيْنَا مِنْ ذَلِكَ ، أَشَارَ إِرْنَسْتُ إِلَى

شَيْءٍ ، وَقَالَ : « مَا هَذَا الشَّيْءُ الْقَابِعُ هُنَاكَ ؟ ذَلِكَ الشَّيْءُ الْمَرْبُوعُ ؟ »

وَنَظَرْتُ فَرَأَيْتُ صُنْدُوقًا قَدْ أَلْقَتْهُ الْمِيَاهُ عَلَى الشَّاطِئِ . كَانَ مَغْطًى كُلَّهُ تَقْرِيْبًا بِالرَّمَالِ . وَحَفَرْنَا حَوْلَهُ حَتَّى أَخْرَجْنَاهُ ، وَفَتَحْنَاهُ ، فَوَجَدْتُهُ مَمْلُوءًا بِمَلَابِيسِ الْبَحَّارَةِ . لَقَدْ كَانَ مِنْ حُسْنِ حَظِّنَا أَنْ وَجَدْنَاهُ ، لَكِنَّ الْمَلَابِيسَ أَصَابَهَا الْبِلَى إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ بِتَأْثِيرِ مَاءِ الْبَحْرِ .

قُلْتُ : « يُمَكِّنُ أَنْ نَغْسِلَهَا مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ ، وَنَجْفِفَهَا . »

قَالَ جَاك : « سَتَكُونُ وَاسِعَةً جَدًّا عَلَيْنَا . إِنَّهَا أَوْسَعُ مِنْ أَنْ تُنَاسِبَ فِرْتَزَ وَ إِرْنِسْت . »

قُلْتُ : « هَذَا صَحِيحٌ ، إِنَّهَا وَاسِعَةٌ جَدًّا بِالنِّسْبَةِ لَكُمْ ، لَكِنَّكُمْ سَتَكُونُونَ سَعْدَاءَ بِأَنْ تَسْتَخْدِمُوهَا إِذَا ابْتَلَتْ مَلَابِسُكُمْ الْأُخْرَى تَحْتَ مَاءِ الْمَطَرِ . »

قُلْتُ لِنَفْسِي : « الشِّتَاءُ يَقْتَرِبُ الْآنَ ، فَمَا الَّذِي نَحْتَاجُ إِلَيْهِ ؟ سَنَحْتَاجُ أَوَّلًا إِلَى أَخْشَابٍ تَصْلُحُ لِلْوُقُودِ ، وَيُمْكِنُ أَنْ تَسْتَخْدِمَهَا زَوْجَتِي لِلطَّهْيِ أَسْفَلَ بَيْتِ الشَّجَرَةِ . » فَتَحْنُ لَمْ نَكُنْ نَطْهَرُ طَعَامَنَا دَاخِلَ بَيْتِ الشَّجَرَةِ ؛ بِسَبَبِ أَرْضِيَّتِهِ الْخَشِيبَةِ ، وَلِهَذَا جَمَعْنَا كَمِيَّةَ

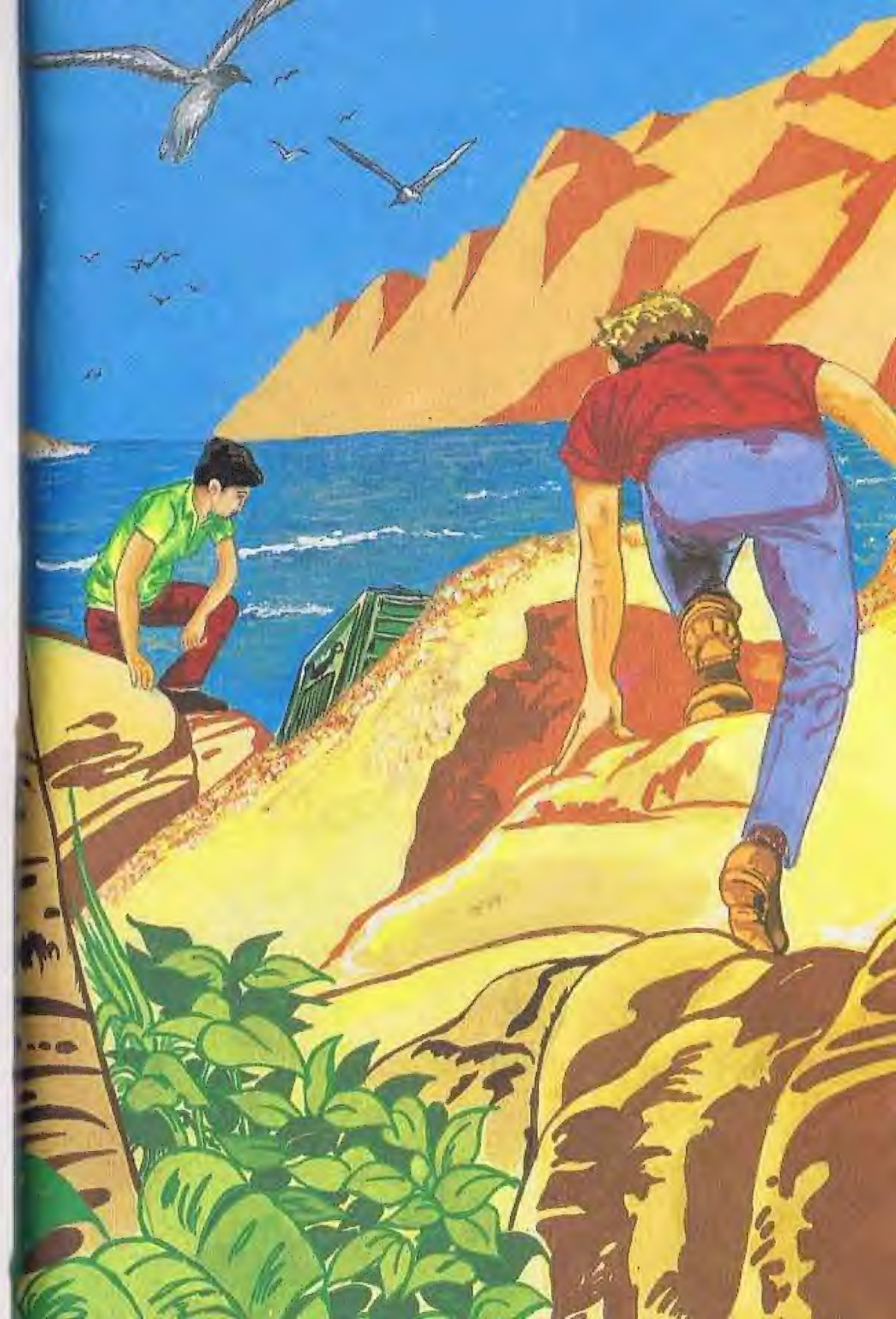
كَبِيرَةً مِنَ الْخَشَبِ الصَّالِحِ لِلْوُقُودِ ، وَاحْتَفَظْنَا بِهَا عِنْدَ جَذْعِ الشَّجَرَةِ .

عِنْدَئِذٍ قُلْتُ لِنَفْسِي : « أَتْنَاءَ الْجَوِّ الْعَاصِفِ ، لَنْ يَكُونَ فِي اسْتِطَاعَتِنَا أَنْ نَذْهَبَ بَعِيدًا عَنْ بَيْتِنَا لَجَمْعِ الطَّعَامِ ؛ وَلِذَلِكَ يَجِبُ التَّأَكُّدُ مِنْ أَنَّ لَدَيْنَا مَخْزُونًا كَافِيًا مِنْهُ فِي الْبَيْتِ أَوْ بِالْقُرْبِ مِنْهُ ، بِحَيْثُ يُمَكِّنُنَا اسْتِخْدَامُهُ عِنْدَمَا يَسُوءُ الطَّقْسُ . »

إِنَّ لَدَيْنَا بِرَامِيلَ مِنْ لَحْمِ الْجَامُوسِ الْمَمْلَحِ ، آمُلُ أَنْ يَظِلَّ صَالِحًا لِلطَّعَامِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي اسْتِطَاعَتِنَا الْحُصُولُ عَلَى مَزِيدٍ مِنَ الْمِلْحِ . لَقَدْ كَانَتِ الْأَمْوَاجُ تَعْلُو فَوْقَ الصُّخُورِ ، لَكِنْ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ شَمْسٌ سَاطِعَةً لِتُبَخِّرَ الْمَاءَ وَتُجَفِّفَ الْمِلْحَ .

وَكَانَ لَدَيْنَا بَيْضٌ ، نَأْخُذُهُ مِنْ دَجَاجِنَا . وَبِاسْتِخْدَامِ خَيْطِ الصَّيْدِ الَّذِي أَحْضَرْنَاهُ مِنَ السَّفِينَةِ ، قَدْ يَكُونُ فِي اسْتِطَاعَتِنَا أَنْ نَصِيدَ سَمَكًا ، رَغْمَ أَنَّ هَذَا لَنْ يَكُونَ سَهْلًا فِي حَالَةِ اضْطِرَابِ الْبَحْرِ . وَكَانَتْ لَدَيْنَا بَطَاطَا حُلْوَةٌ ، وَكَمِيَّةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ جَوْزِ الْهِنْدِ . وَيُمْكِنُ لِلْمَعْزِ أَنْ تُعْطَيْنَا قَلِيلًا مِنَ اللَّبَنِ ، فَالْبَقَرَةُ لَمْ تَعُدْ تُعْطِينَا الْكَثِيرَ مِنْهُ ، وَكَانَتْ هُنَاكَ كَمِّيَّاتٌ وَافِرَةٌ مِنَ الْحَشَائِشِ الْجَافَةِ لِطَّعَامِ حَيَوَانَاتِنَا .

قُلْتُ : « حَسَنٌ ، إِنَّ لَدَيْنَا مَكَانًا مُنَاسِبًا ، وَطَعَامًا وَفِيرًا ؛ وَلِهَذَا
نَكُونُ قَدْ أَعَدَدْنَا أَنْفُسَنَا جَيِّدًا لِفَصْلِ الشِّتَاءِ . »
كَانَ هَذَا مَا ظَنَنْتُ ، لَكِنِّي كُنْتُ مُخْطِئًا ، كُنْتُ مُخْطِئًا أَشَدَّ
الْخَطَأِ !



الفصل الخامس عشر الشتاء

أَعْتَقِدُ أَنَّ الشُّهُورَ القَلِيلَةَ التَّالِيَةَ كَانَتْ أُنْعَسَ شُهُورٌ عَرَفْتُهَا فِي حَيَاتِي . لَقَدْ وَاجَهْنَا أَرْبَعَةَ أَعْدَاءٍ : الْأَمْطَارُ ، وَالرِّيَّاحُ ، وَالْبَرْدُ ، وَالنَّهَارُ الْقَصِيرُ . وَمَعَ أَنَّ النَّهَارَ لَمْ يَكُنْ شَدِيدَ الْقِصَرِ ، إِلَّا أَنَّا كُنَّا نَضْطَرُّ إِلَى الْبَقَاءِ وَقْتًا طَوِيلًا فِي الْبَيْتِ ، بِسَبَبِ الطُّقْسِ السَّيِّئِ .

كَانَتْ الْأَمْطَارُ تَنْهَمِرُ بِغَزَاةٍ كَانَتْهَا أَنْهَارٌ ، وَكَانَتْ تَسْتَمِرُّ طَوَالَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ تَقْرِيْبًا ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَتْ هُنَاكَ أَيَّامٌ قَلِيلَةٌ تَوَقَّفَتْ فِيهَا . وَأَغْرَقَتِ الْمِيَاهُ الْأَرْضَ كُلَّهَا ، وَأَصْبَحَ النَّهْرُ جِدًّا مُتَّسِعًا ، حَتَّى إِنَّا لَمْ نَسْتَطِعْ عُبُورَهُ ؛ فَلَقَدْ تَحَطَّمَتْ جِسْرُنَا . وَمِنْ حُسْنِ الْحِظِّ ، أَنَّ حَدِيقَتَنَا كَانَتْ فَوْقَ أَرْضٍ مُرْتَفِعَةٍ ، وَبَدَأَتْ مَزْرُوعَاتُنَا تَشُقُّ طَرِيقَهَا فَوْقَ سَطْحِ الْأَرْضِ .

وَكَانَتْ الرِّيحُ شَدِيدَةً . وَعِنْدَمَا أَقْمُنَا بَيْتَنَا فَوْقَ الشَّجَرَةِ ، لَمْ أَفَكِّرْ

فِي أَنَّ الرِّيحَ يُمَكِّنُ أَنْ تَعْصِفَ بِهِ ، فَالْبَيْتُ إِذَا أُقِيمَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَكَانَتْ لَهُ جُدْرَانٌ قَوِيَّةٌ وَسَقْفٌ مُنْخَفِضٌ ، فَإِنَّ الرِّيحَ يُمَكِّنُ أَنْ تَهْبَّ عَلَيْهِ ، وَيَبْقَى الْبَيْتُ رَاسِخًا .

أَمَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِبَيْتِ مُقَامِ فَوْقَ شَجَرَةٍ ، فَمِنْ السَّهْلِ أَنْ تَعْصِفَ بِهِ الرِّيحُ . كَانَ سَقْفُ بَيْتِنَا مَصْنُوعًا مِنْ قُمَاشٍ ، وَقَدْ تَجَمَّعَ مَاءُ الْمَطَرِ فَوْقَهُ فِيمَا يُشَبِّهُ بُحِيرَةً عَمِيقَةً ، فَتَسَرَّبَتْ مِنْهُ قَطْرَاتٌ كَثِيرَةٌ فَوْقَ أَرْضِيَّةِ الْبَيْتِ ، ثُمَّ هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ ، أَطَارَتْ قُمَاشَ الشَّرَاعِ وَقَلْبَتَهُ رَاسًا عَلَى عَقَبٍ ، فَتَدَفَّقَ نَهْرٌ مِنْ مَاءِ الْمَطَرِ دَاخِلَ الْغُرْفَةِ .

وَأَصْبَحَتِ الْأَيَّامُ أَشَدَّ بُرُودَةً عَمَّا كَانَتْ ، أَمَّا اللَّيَالِي فَقَدْ صَارَتْ شَدِيدَةً الْبُرُودَةِ جِدًّا . وَكُنَّا نَقْضِي الْيَوْمَ كُلَّهُ فِي مَلَابِسٍ مُبْتَلَّةٍ ، وَلَمْ تَكُنْ لَدَيْنَا وَسِيلَةٌ لِتَجْفِيفِهَا . وَأَثْنَاءَ اللَّيَالِي الَّتِي يَشْتَدُّ فِيهَا الْبَرْدُ ، لَمْ نَكُنْ نَعْرِفُ وَسِيلَةً لِلتَّدْفِئَةِ .

لَمْ تَكُنْ لَدَيْنَا مِدْقَاةٌ . وَلَقَدْ وَضَعْنَا بَعْضَ الْأَحْجَارِ عَلَى أَرْضِيَّةِ مَنَزِلِنَا الشَّجَرِيِّ ، وَأَشْعَلْنَا نَارًا فَوْقَهَا ، لَكِنْ سَرَعَانَ مَا امْتَلَأَتِ الْغُرْفَةُ بِالدُّخَانِ ، وَخَشِينَا أَنْ تَشْتَعِلَ الْأَرْضِيَّةُ !

وَفِي الْأَيَّامِ الْجَافَّةِ ، كُنَّا نَخْشَى أَيْضًا أَنْ يَشْتَعِلَ الْقُمَاشُ الَّذِي

اسْتَعْدَمْنَاهُ سَقْفًا . وَلَمْ نَسْتَطِعْ التَّوَصُّلَ إِلَى طَرِيقَةِ إِخْرَاجِ الدُّخَانِ
مِنَ الْغُرْفَةِ ؛ ذَلِكَ أَنَّنَا إِذَا صَنَعْنَا ثَقْبًا فِي السَّقْفِ ، فَإِنَّ الْأَمْطَارَ قَدْ
تَسْقُطُ مِنْ خِلَالِهِ فَوْقَ النَّارِ .

وَعِنْدَمَا تَغْرُبُ الشَّمْسُ ، يُخَيِّمُ الظَّلَامُ ، وَلَكِنْ حَتَّى أَثْنَاءَ ضَوْءِ
النَّهَارِ ، تَظَلُّ الْغُرْفَةُ مُظْلِمَةً إِلَى حَدٍّ مَا ، فَلَمْ تَكُنْ لَدَيْنَا وَسِيلَةٌ
لِلإِضَاءَةِ . وَقَدْ وَجَدْنَا بَعْضَ الْبُذُورِ الشَّمْعِيَّةِ ، أَطْلَقْنَا عَلَيْهَا اسْمَ
« حُبُوبِ الشَّمْعِ » ، وَكَانَتْ تَشْتَعِلُ فَتُعْطِي ضَوْءًا خَافِتًا جَدًّا ،
لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِالضَّوِّءِ الْكَافِي لِنَسْتَفِيدَ بِهِ عَلَى أَيْ وَجْهِ ؛ لِهَذَا فَإِنَّهُ
أَثْنَاءَ اللَّيْلِ ، كُنَّا نَجْلِسُ فِي حَلْقَةٍ بِمَلَابِسِنَا الْمَبْتَلَّةِ ، وَنَحْنُ نَشْعُرُ
بِإِرْدٍ شَدِيدٍ ، يُحِيطُ بِنَا الظَّلَامُ ، وَلَا نَجِدُ مَا نَقُومُ بِهِ إِلَّا الذَّهَابَ
لِلنُّوْمِ !

وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ نُوَاصِلَ الْحَيَاةَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ .

قُلْتُ : « لَا بُدَّ أَنْ نَنْزِلَ وَنَعِيشَ عِنْدَ جَذْعِ الشَّجَرَةِ . سَنَبَسُطُ
قُمَاشَ الشَّرَاعِ فَوْقَ هَذِهِ الْأَرْضِيَّةِ ، وَبِذَلِكَ نَجِدُ فَوْقَنَا سَقْفَيْنِ :
السَّقْفُ الَّذِي سَبَقَ أَنْ صَنَعْنَاهُ فَوْقَ الشَّجَرَةِ ، وَالسَّقْفُ الَّذِي سَنَضَعُهُ
فَوْقَ هَذِهِ الْأَرْضِيَّةِ ؛ وَبِذَلِكَ يُمَكِّنُ أَنْ تَتَجَنَّبَ الْبَلَلُ ، وَنَسْتَمْتِعَ

بِالْجَفَافِ عِنْدَ جَذْعِ الشَّجَرَةِ . »

وَعِنْدَ جَذْعِ الشَّجَرَةِ ، أَقَمْنَا حَائِطَيْنِ لِنُغْرِفَتِنَا ، أَمَّا الْحَائِطُ
الثَّالِثُ فَكَانَ لِحِظَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ ، وَكَانَ جَذْعُ الشَّجَرَةِ نَفْسُهَا هُوَ
الْحَائِطُ الرَّابِعُ . وَصَنَعْنَا ثَقْبًا فِي أَرْضِيَّةِ الْغُرْفَةِ الْعُلْوِيَّةِ ، يَتَسَرَّبُ مِنْهُ
الدُّخَانُ الْمُتَصَاعِدُ مِنْ نَارِنَا ، بِغَيْرِ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ فُرْصَةٌ لِسُقُوطِ مَاءِ
الْمَطَرِ مُبَاشَرَةً فَوْقَ النَّارِ .

وَعِنْدَمَا كُنَّا نَضْطَرُّ إِلَى الْبَقَاءِ فِي الْبَيْتِ طَوَالَ النَّهَارِ ، كُنَّا نَقْضِي
الْوَقْتَ فِي صُنْعِ حَصِيرَةٍ مِنْ نَبَاتِ الْخَيْزُرَانِ ، لِنَقْرُشَهَا فَوْقَ أَرْضِيَّةِ
الْبَيْتِ . وَلَا شَكَّ أَنَّنَا أَصْبَحْنَا أَحْسَنَ حَالًا فِي هَذِهِ الْغُرْفَةِ الْأَرْضِيَّةِ ،
لَكِنْ رَائِحَةُ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي تَأْتِينَا مِنْ أَحَدِ الْجَوَانِبِ ، كَانَتْ فِي
مُعْظَمِ الْأَوْقَاتِ أَشَدَّ مِنْ قُدْرَتِنَا عَلَى الْإِحْتِمَالِ !

وَبَعْدَ فِتْرَةٍ ، بَدَأْنَا نُوَاجِهُ صُعُوبَاتٍ تَتَعَلَّقُ بِالطَّعَامِ ؛ فَلَحْمُ
الْجَامُوسِ الَّذِي كُنَّا قَدْ مَلَحْنَاهُ فِي الْبَرَامِيلِ ، قَدْ فَسَدَ ، إِذْ لَمْ نَكُنْ
قَدْ وَضَعْنَا عَلَيْهِ مَا يَكْفِي مِنَ الْمِلْحِ ، وَقَدْ فَاتَنِي أَنْ أَدْرِكَ مِقْدَارَ
أَهْمِيَّةِ الْمِلْحِ لِحِفْظِ الطَّعَامِ ، خِلَالَ الشُّهُورِ الَّتِي يَسُوءُ فِيهَا
الطُّقْسُ !

وَذَبَحْنَا بَعْضَ الدَّجَاجَاتِ كَبِيرَةِ السَّنِّ ، وَأَكَلْنَاهَا . وَعِنْدَمَا كَانَ
الطُّقْسُ يَتَحَسَّنُ ، كَانَ فِي اسْتِطَاعَةِ الْأَوْلَادِ أَنْ يَذْهَبُوا لِصَيْدِ
الْأَسْمَاكِ ، وَكَانُوا يُحْضِرُونَ لَنَا قَلِيلًا مِنَ اللَّحْمِ أَوْ السَّمَكِ .

وَكَانَتْ عِنْدَنَا الْبَطَاطَا الْحُلْوَةُ ، لَكِنَّ الطَّهْيَ كَانَ صَعْبًا لِلْغَايَةِ .
وَعِنْدَمَا كَانَ الْجَوُّ يَتَحَسَّنُ ، كَانَتْ زَوْجَتِي تَصْنَعُ مِنْ خَبْزِ الْبَطَاطَا
الْحُلْوَةِ مَا يَكْفِي لَنَا عِدَّةَ أَيَّامٍ ، لَكِنَّ مَذَاقَهُ لَمْ يَكُنْ مَقْبُولًا .

وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْنَا طَعَامٌ كَافٍ لِلْحَيَوَانَاتِ ؛ فَتَخَلَّصْنَا مِنْ أَرْبَعَةِ
كِلَابٍ صَغِيرَةٍ ، وَأَبْقَيْنَا طِرْكُ وَفَلُورَا وَجِرَوَيْنِ . وَكَانَ لَا بُدَّ مِنْ
تَوْفِيرِ الطَّعَامِ لِلْبَقَرَةِ وَالْمَعْزِ وَالْجَامُوسَتَيْنِ ، وَوَجَدْتُ أَنَّنَا لَا نَسْتَطِيعُ
أَنْ نُقَدِّمَ لَهَا جَمِيعًا مَا يَكْفِيهَا مِنْ طَعَامٍ وَهِيَ فِي حَظَائِرِهَا ؛
لِذَلِكَ صَنَعْنَا لَهَا أَجْرَاسًا مِنْ أَغْلَفَةِ جَوْزِ الْهِنْدِ ، وَعَلَقْنَاهَا حَوْلَ
أَعْنَاقِهَا ، ثُمَّ تَرَكْنَاهَا تَخْرُجُ لِتَبْحَثَ عَنْ طَعَامِهَا . وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ ،
كُنَّا نَضَعُ قَلِيلًا مِنَ الطَّعَامِ فِي حَظَائِرِهَا ، لِكَيْ يُغْرِبَهَا هَذَا
بِالْعُودَةِ إِلَى بُيُوتِهَا . وَكَانَتْ تَعُودُ إِلَى الْحَظَائِرِ أَثْنَاءَ اللَّيْلِ ، أَمَا
خِلَالَ النَّهَارِ ، فَكُنَّا نُطْلِقُهَا لِتَبْحَثَ بِنَفْسِهَا عَنْ طَعَامِهَا .

الفصل السادس عشر

يَتَّ فِي كَهْفٍ

مِنْ الصَّعْبِ أَنْ أَعْبَرَ عَنْ مَدَى سَعَادَتِنَا ، عِنْدَمَا تَوَقَّفَتْ
الْعَوَاصِفُ ، وَعَادَتْ الشَّمْسُ تُشْرِقُ مِنْ جَدِيدٍ ، بَعْدَ تِلْكَ الْأَسَابِيعِ
الْمَطِيرَةِ الطَّوِيلَةِ . وَخَرَجْنَا مِنْ غُرْفَتِنَا الْمُعْتَمَةِ ذَاتِ الرَّائِحَةِ السَّيِّئَةِ ،
وَأَخَذْنَا نَتَطَلَّعُ إِلَى السَّمَاءِ حَوْلَنَا : كَانَتْ الْحَشَائِشُ خَضِرَاءَ كَثِيفَةً ،
تَنْمُو فِي وَسْطِهَا الْأَزْهَارُ . وَفِي حَدِيقَتِنَا أَيْضًا كَانَتْ الْمَزْرُوعَاتُ تَنْمُو
نُمُوًّا حَسَنًا ، وَقَدْ اكْتَشَفَتْ الطُّيُورُ ذَلِكَ .

وَكَلَّفْنَا جَاكِ بِالْحِرَاسَةِ ، تُسَاعِدُهُ فُلُورَا ، لِإِبْعَادِ الطُّيُورِ عَنْ
الْحَدِيقَةِ . كَمَا أَنَّ الشِّبَاكِ الَّتِي أَحْضَرْنَاهَا لِصَيْدِ السَّمَكِ نَفَعَتْنَا فِي
الْمُحَافَظَةِ عَلَى مَزْرُوعَاتِنَا آمِنَةً مِنَ الطُّيُورِ وَالْحَيَوَانَاتِ .

وَوَضَعْنَا مَلَابِسَنَا فِي الشَّمْسِ لِتَجِفَّ ، ثُمَّ انْتَهَمَكْنَا فِي الْعَمَلِ

لِنَعِيدَ بَيْتَ الشَّجَرَةِ صَالِحًا لِلِاسْتِعْمَالِ . وَخِلَالَ بَضْعَةِ أَيَّامٍ ، أَصْبَحَ
فِي مَقْدُورِنَا أَنْ تَتْرَكَ الْغُرْفَةَ عِنْدَ جَذْعِ الشَّجَرَةِ ، وَأَنْ نَعُودَ ثَانِيَةً إِلَى
بَيْتِنَا الْمُضِيِّ ، الَّذِي نَحْسُ فِيهِ بِالسَّعَادَةِ الْحَقِيقِيَّةِ .

قَالَتْ زَوْجَتِي : « الْآنَ ، سَنَظِلُّ سَعْدَاءَ إِلَى أَنْ يَبْدَأَ الشِّتَاءُ
الْقَادِمُ ، فَتُصَيِّنَا التَّعَاسَةَ مَرَّةً أُخْرَى . إِنِّي لَنْ أَسْتَطِيعَ تَحْمِلَ شِتَاءِ
آخَرَ مِثْلَ هَذَا ، فَقَدْ يَتَسَبَّبُ ذَلِكَ فِي مَوْتِي . أَنَا وَاثِقَةٌ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ
الْأَوَّلَ ، الَّذِي عَاشَ مُنْذُ آلَافِ السِّنِينَ ، لَمْ يَسْكُنْ عَلَى الْأَشْجَارِ مِثْلَ
الْقُرُودِ ، بَلْ لَقَدْ سَكَنَ الْكَهُوفَ ، وَلَا بُدَّ أَنْ نَجِدَ كَهْفًا . »

وَكُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّهَا عَلَى حَقٍّ ، فَخَرَجْتُ وَسِرْتُ عَلَى طُولِ
الشَّاطِئِ ، أَتَأَمَّلُ التَّلَالَ الَّتِي تُوَاجِهُ الْبَحْرَ . كَانَ بَعْضُهَا يَنْحَدِرُ
بِاسْتِقَامَةٍ ، كَأَنَّهَا حَوَائِطُ عَلَى الشَّاطِئِ ، وَكَانَتْ تِلْكَ هِيَ الْأَمَاكِنَ
الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ أَجِدَ فِيهَا كَهْفًا . وَوَاصِلَتُ السَّيْرَ لَكِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ
رُؤْيَةَ كُهُوفٍ ، أَوْ عَلَى الْأَقْلَى ، لَمْ أَجِدْ كَهْفًا وَاسِعًا يَكْفِي أُسْرَتِي .

وَعُدْتُ ، وَأَخْبَرْتُ زَوْجَتِي وَالْأَوْلَادَ أَنَّني لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَجِدَ
كَهْفًا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَقَرًّا لَنَا .

قَالَ فَرْتَزُ : « إِذَا لَمْ يَكُنِ الْكَهْفُ مُتَّسِعًا بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ ؛ فَعَلَيْنَا

أَنْ نَحْفِرَ فِي الصَّخْرِ لِنُوسِّعَهُ . »

قُلْتُ : « يُمْكِنُكَ أَنْ تُحَاوِلَ ، لَكِنِ الصُّخُورَ جِدُّ صُلْبَةٍ ، وَلَا
أَدْرِي مَا إِذَا كَانَتْ الْمَحَاوِلَةُ مُمَكِّنَةً . سَأُصْحَبُكَ إِلَى أَفْضَلِ كَهْفٍ
وَجَدْتُهُ ، إِنَّهُ لَيْسَ أَسْفَلَ الْجَبَلِ تَمَامًا ، وَلَعَلَّ أَمْوَاجَ الْبَحْرِ هِيَ الَّتِي
حَفَرَتْهُ ذَاتَ يَوْمٍ ، لَكِنِ الْأَرْضُ ارْتَفَعَتْ وَأَصْبَحَ سَطْحُ الْبَحْرِ
مُنْخَفِضًا ، فَتَرَكْتُهُ الْأَمْوَاجُ هُنَاكَ . هَيَّا بِنَا نَذْهَبْ إِلَيْهِ ، وَخُذْ مَعَكَ
الْأَدَوَاتِ ، وَسَرَى مَا الَّذِي نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُومَ بِهِ . »

وَهَكَذَا ذَهَبْنَا إِلَى الْكَهْفِ ، وَاسْتَطَعْنَا أَنْ نَجْعَلَ عُمُقَهُ مَثَرَيْنِ
فَقَطُّ . كَانَ الصَّخْرُ جِدُّ صُلْبٍ ، وَقَدْ فَكَّرْتُ فِي أَنَّهُ يُمْكِنُنَا أَنْ
نُحْدِثَ فَتْحَةً ، ثُمَّ نَضَعَ فِيهَا بَارُودًا ، فَيُسَاعِدُنَا التَّفْجِيرُ عَلَى الْإِسْرَاعِ
بِالْعَمَلِ ، لَكِنِّي لَمْ أَرْغَبْ فِي اسْتِخْدَامِ كَمِيَّةٍ كَبِيرَةٍ مِنْهُ . لَقَدْ
كَانَ الْبَارُودُ هَامًا جَدًّا لِبِنَادِقِنَا وَلَمْ أَعْرِفْ مَاذَا أَفْعَلُ .

قُلْتُ لِفَرْتَزُ : « هَلْ نَعْدِلُ عَنِ الْفِكْرَةِ ، أَمْ نَسْتَمِرُّ فِي الْحَفْرِ ،
أَمْ نُفَكِّرُ فِي وَسِيلَةٍ أُخْرَى ؟ »

قَالَ فَرْتَزُ : « أَعْتَقِدُ أَنَّهُ كُلَّمَا تَقَدَّمْنَا فِي الْعَمَلِ ، أَصْبَحَتْ
الصُّخُورُ أَقْلَ صَلَابَةً . إِنَّ قِطْعَةَ الصَّخْرِ الَّتِي أَمَامِي هُنَا تَبْدُو

وَكَانَ جَاك ، أَصْغَرْنَا ، قَدْ أَنْهَمَكَ يَعْملُ فِي أَعْمَقِ الْأَمَاكِينِ
الَّتِي حَفَرْنَاها .

وَذَاتَ صَبَاحٍ صَاحَ : « لَقَدْ قُمْتُ بِالْمُهْمَةِ ! لَقَدْ قُمْتُ
بِالْمُهْمَةِ ! لَقَدْ اخْتَرَفْتُ الصُّخُورَ ! »

قَالَ فِرْتَزُ : « لَا تَكُنْ غَيِّيًا ، فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ اخْتِرَاقَ الصُّخُورِ بِهَذَا
الْقَضِيبِ الصَّغِيرِ الَّذِي تَعْمَلُ بِهِ عِنْدَكَ . »

قَالَ جَاك : « لَكِنِّي قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ حَقًّا . لَقَدْ فَعَلْتُهُ . »

تَقَدَّمَ إِلَيْهِ فِرْتَزُ لِيَتَأَكَّدَ مِمَّا يَقُولُ ، وَسَرَّعَانَ مَا عَادَ وَهُوَ يَقُولُ :
« إِنَّهُ عَلَى حَقٍّ تَمَامًا ، يَا أَبِي . جَاكَ عَلَى حَقٍّ ! أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ
إِدْرَاكَ حَقِيقَةِ الْأَمْرِ . إِنَّكَ تَسْتَطِيعُ دَفْعَ قَضِيبٍ مِنْ حَدِيدٍ فِي
الصُّخُورِ إِلَى أَعْمَقِ مَا تَسْتَطِيعُ ، فَلَا تَجِدُ شَيْئًا تَصْطَلِدُ بِهِ . كَمَا
أَنْتِي أَسْتَطِيعُ تَحْرِيكَ الْقَضِيبِ فِي الْفُتْحَةِ بِكُلِّ سُهولة . »

وَتَمَلَّكَتْنِي دَهْشَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَأَخَذْتُ عَوْدًا طَوِيلًا مِنْ
الْخَيْزُرَانِ ، وَوَضَعْتُهُ فِي الْفُتْحَةِ .

قُلْتُ : « هَذَا صَحِيحٌ ، لَيْسَ ثَمَّ شَيْءٌ خَلْفَ هَذَا الصَّخْرِ ! »

قَالَ فِرْتَزُ : « هَيَّا نَعْمَلْ عَلَى تَوْسِيعِ الْفُتْحَةِ ؛ حَتَّى يَسْتَطِيعَ
وَاحِدٌ مِنَّا أَنْ يَمُرَّ مِنْ خِلَالِهَا . »

قُلْتُ : « مِنَ الْمُحْتَمَلِ إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ مِنْهَا ، أَنْ يَسْقُطَ مِنْ
ارْتِفَاعِ شَاهِقٍ ، فَتَتَسَبَّبَ السَّقْطَةُ فِي مَوْتِهِ . يَجِبُ أَنْ نَكُونَ فِي
غَايَةِ الْحَذَرِ . هَيَّا نَعْمَلْ عَلَى تَوْسِيعِ الْفُتْحَةِ قَلِيلًا ، لِكَيْ أَتِمَّكَ مِنْ
إِلْقَاءِ نَظَرَةٍ عَلَى مَا وَرَائِهَا . »

وَهَكَذَا عَمَلْنَا عَلَى تَوْسِيعِ الْفُتْحَةِ ، وَوَضَعْتُ رَأْسِي دَاخِلَهَا .
وَفَجْأَةً شَعَرْتُ بِدُورٍ شَدِيدٍ ، فَتَرَاجَعْتُ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْخَلْفِ .

قُلْتُ : « كُونُوا عَلَى حَذَرٍ ، يَا أَوْلَادِي ! يَجِبُ أَلَّا تَدْخُلُوا هَذَا
الْكَهْفَ ، إِذَا كَانَ هُنَاكَ كَهْفٌ حَقًّا . إِنَّ الْهَوَاءَ فَاسِدَ هُنَاكَ ،
وَالدُّخُولَ إِلَيْهِ مَعْنَاهُ الْمَوْتُ الْمَحَقَّقُ . وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، يَجِبُ أَنْ نَظُرَ
ذَلِكَ الْهَوَاءَ الْفَاسِدَ . »

سَأَلَ فِرْتَزُ : « كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ نَقُومَ بِذَلِكَ ؟ »

قُلْتُ : « يَجِبُ أَنْ نُشْعِلَ نَارًا . » وَوَضَعْنَا حَشَائِشَ وَعَصِيًا
مُسْتَعْلَةً فِي الْكَهْفِ ، لَكِنَّ النَّارَ سَرَّعَانَ مَا انْطَفَأَتْ .

قَالَ إِرْنَسْتُ : « مِنَ الْمُحْتَمَلِ إِذَا أَشْعَلْنَا نَارًا أَمَامَ مَدْخَلِ الْفُتْحَةِ

أَنْ يَطْرُدَ الْهَوَاءَ السَّاخِنَ الْهَوَاءَ الْبَارِدَ مِنَ الْكَهْفِ .

قُلْتُ : « قَدْ يَحْدُثُ هَذَا ، لَكِنْ أَظُنُّ أَنَّ الْأَمْرَ سَيَحْدُثُ بِطَءٍ شَدِيدٍ ، كَمَا أَنَّ الْأَمَانَ لَنْ يَتَوَافَرَ كَثِيرًا فِي هَذِهِ الْمَحَاوِلَةِ . وَاعْتَقِدْ أَنَّهُ قَدْ حَانَ الْوَقْتُ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ نَسْتَخْدِمَ فِيهِ بَعْضَ مَا لَدَيْنَا مِنْ بَارودٍ ، لَطْرُدِ الْهَوَاءَ الْفَاسِدَ مِنَ الْكَهْفِ . »

لِهَذَا تَنَاوَلْتُ بَعْضَ أَغْلَافَةِ جَوْزِ الْهِنْدِ ، وَحَشَوْتُهَا بِالْبَارودِ ، ثُمَّ رَبَطْتُهَا رِبْطًا مُحْكَمًا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، لِأَصْنَعَ نَوْعًا مِنَ الْمُتَفَجِّرَاتِ ، ثُمَّ أَشْعَلْتُ النَّارَ فِي إِحْدَاهَا ، وَأَلْقَيْتُهَا سَرِيعًا فِي الْكَهْفِ . وَسَمِعْنَا صَوْتَ انفِجَارٍ شَدِيدٍ ، وَانْدَفَعَ الْهَوَاءُ الْفَاسِدُ إِلَى الْخَارِجِ مُخْتَلِطًا بِالدُّخَانِ . وَقَدْ أَحْدَثَتْ انفِجَارَيْنِ آخَرَيْنِ ، ثُمَّ عُدْنَا لِتَجْرِبَةِ إِشْعَالِ النَّارِ دَاخِلَ الْكَهْفِ .

وَفِي هَذِهِ الْمَرَّةِ ، ظَلَّتِ النَّارُ مُسْتَعِلَةً ، وَلَمْ يَكُنْ الْاِشْتِعَالُ شَدِيدًا ، لَكِنَّ الدُّخَانَ وَالْهَوَاءَ السَّاخِنَ خَرَجَا مِنَ الْفُتْحَةِ . وَسَرَّعَانَ مَا أَخَذَ وَهَجَ النَّارِ يَشْتَدُّ حَتَّى اِشْتَعَلَتْ دَاخِلَ الْكَهْفِ بِتَوَهُّجٍ كَامِلٍ ، يُمَاتِلُ تَمَامًا اِشْتِعَالَهَا فِي الْهَوَاءِ الطَّلَقِ .

قُلْتُ لِإِرْنَسْتِ : « أَسْرِعْ إِلَى بَيْتِ الشَّجَرَةِ ، وَأَخْضِرْ كُلَّ مَا



لَدَيْنَا مِنْ حُبُوبِ الشَّمْعِ ، فَمِنْ الْمُمْكِنِ اسْتِخْدَامُهَا لِلإِضَاءَةِ عِنْدَمَا نَدْخُلُ الْكَهْفَ .

فَمِنَّا بِتَوْسِيعِ الْمَدْخَلِ ، فَتَسَلَّلَ ضَوْؤُ النَّهَارِ إِلَى الْكَهْفِ ، وَاسْتَطَعْنَا أَنْ نَرَى أَقْرَبَ الْجَوَانِبِ إِلَى الْمَدْخَلِ . وَنَظَرَ جَاكَ إِلَى الدَّاخِلِ وَقَالَ : « كَأَنَّهُ كَهْفٌ فِي حِكَايَةِ خَيَالِيَّةٍ ! إِنَّ الْجُدْرَانَ مُغَطَّاةٌ بِالْجَوَاهِرِ ! إِنَّهُ شَيْءٌ رَائِعٌ ! »

وَنَظَرْتُ أَنَا بِدَوْرِي دَاخِلَ الْكَهْفِ ، وَوَجَدْتُ أَنَّ جَاكَ كَانَ عَلَى حَقٍّ ؛ إِذْ كَانَتِ الْجُدْرَانُ مُغَطَّاةٌ بِالْبُلُورَاتِ .

قُلْتُ : « هَذَا عَجِيبٌ جَدًّا ! لَكِنْ أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الْبُلُورَاتِ ؟ فَهَنَّاكَ بُلُورَاتُ السُّكَّرِ ، وَبُلُورَاتُ الْمِلْحِ ، وَبُلُورَاتُ لَأَشْيَاءٍ أُخْرَى كَثِيرَةٍ ، وَالْجَوَاهِرُ هِيَ أَيْضًا بُلُورَاتٌ . »

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، عَادَ إِرْنِسْتُ مِنْ بَيْتِ الشَّجَرَةِ ، وَقَدْ أَحْضَرَ مَعَهُ الْحُبُوبَ الشَّمْعِيَّةَ ، فَدَخَلْتُ قَبْلَ الْبَاقِينَ لِأَتَاكَّدُ أَنَّ الْهَوَاءَ أَصْبَحَ صَالِحًا .

وَتَأَمَّلْتُ الْجُدْرَانَ ، فَوَجَدْتُهَا مُغَطَّاةً - حَقِيقَةً - بِالْبُلُورَاتِ ، كَانَ بَعْضُهَا قَدْ سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ بِسَبَبِ الانفِجَارَاتِ ، فَتَنَاوَلْتُ وَاحِدَةً

مِنْهَا ، وَتَذَوَّقْتُهَا .

كَانَتْ مِلْحًا ! لَنْ نُعَانِيَ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى الْمِلْحِ أَبَدًا بَعْدَ الْآنَ ، وَفِي الشِّتَاءِ الْقَادِمِ سَيَكُونُ لَدَيْنَا كَمِّيَّاتٌ وَفِيرَةٌ مِنْهُ ، لِنَحْفَظَ مَا لَدَيْنَا مِنْ لَحُومٍ خِلَالَ فِتْرَةِ الطَّقْسِ السَّيِّئِ . وَلَنْ نَكُونَ فِي حَاجَةٍ فِيمَا بَعْدَ لِجْمَعِ الْمِلْحِ مِنْ فَوْقِ صُخُورِ الشَّاطِئِ .

لَقَدْ كَانَ كَهْفًا جَدًّا رَحْبًا ، وَوَجَدْتُ أَنَّهُ يُمْكِنُنَا أَنْ نُقِيمَ مَخْرَجًا فِي أَعْمَقِ مَكَانٍ فِيهِ ، وَأَنْ نُخَصِّصَ غُرْفَةً لِلنَّوْمِ ، كَمَا يُمْكِنُ أَنْ نُخَصِّصَ مَكَانًا فَسِيحًا لِلطَّبْخِ ، وَمَكَانًا لِغُرْفَةِ الْمَعِيشَةِ .

قُلْتُ : « لَكِنْ هُنَاكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ عَلَيْنَا أَنْ نَقُومَ بِهِ فِي الْحَالِ . اَعْتَقِدْ أَنَّ هَذَا الْجَانِبَ مِنَ الْكَهْفِ لَيْسَ بَعِيدًا عَنْ مَصْدَرِ الْهَوَاءِ الْخَارِجِيِّ . سَأَطْرُقُ الصُّخُورَ دَاخِلَ الْكَهْفِ ، وَتَذْهَبُ ، يَا فِرْتَزْ ، إِلَى الْخَارِجِ وَتَصْنَعِي . وَعَلَيْكَ أَنْ تُخْبِرَنِي أَتَيْنَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْمَعَ طَرَقَاتِي عَلَى نَحْوِ أَكْثَرِ وُضُوحًا . سَأَقُومُ بِطَرَقِ الصُّخُورِ مَرَّتَيْنِ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تُحَدِّدَ الْمَكَانَ الَّذِي تَسْمَعُ فِيهِ الطَّرَقَتَيْنِ بِوُضُوحٍ أَكْثَرَ ، ثُمَّ ضَعِ عَصَا لِتَحْدِيدِ الْمَكَانِ . »

وَخَرَجَ فِرْتَزْ ، وَبَدَأَتْ أَطْرُقُ جَوَانِبَ الْكَهْفِ فِي أَمَاكِنَ مُخْتَلِفَةٍ .

وَبَعْدَ قَلِيلٍ عَادَ فِرْتَزُ وَقَالَ : « لَقَدْ حَدَّدْتُ أَفْضَلَ مَكَانٍ ، فَسَمِعْتُ
طَرَفَاتِكَ بِوُضُوحٍ كَامِلٍ . »

قُلْتُ : « إِذَا لَنْ يَكُونَ صَعْبًا أَنْ نَصْنَعَ ثَقْبًا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ ،
يَصِلُ مَا بَيْنَ الْهَوَاءِ الْخَارِجِيِّ وَالْكَهْفِ . سَيَكُونُ عَمَلًا شَاقًا ، لَكِنْ
يَجِبُ أَنْ نَقُومَ بِهِ . »

وَكَانَ الْعَمَلُ شَاقًا فِعْلًا ، لَكِنْ بَعْدَ يَوْمَيْنِ أَصْبَحَ فِي إِمْكَانٍ
فِرْتَزُ أَنْ يَضَعَ قَصْبَةً خَيْزُرَانٍ خِلَالَ الثَّقْبِ ، فَوَصَلَ طَرَفُهَا إِلَى دَاخِلِ
الْكَهْفِ ، ثُمَّ قُمْنَا بِتَوْسِيعَةِ الثَّقْبِ مِنْ دَاخِلِ الْكَهْفِ .

قُلْتُ : « وَالْآنَ يُمَكِّنُ أَنْ نَقِيمَ مَوْقِدًا ، وَنَصْنَعَ لَهُ مِدْخَنَةً .
سَنَبْنِي جُزْءًا مِنَ الْمِدْخَنَةِ خَارِجَ الْكَهْفِ ، وَنَقِيمُ الْمَوْقِدَ دَاخِلَهُ . »

وَبَدَأْنَا فِي الْعَمَلِ ، مُسْتَخْدِمِينَ الطِّينَ وَقَطَعَ الْحِجَارَةَ ، فَأَقَمْنَا
مَوْقِدًا وَمِدْفَأَةً مُمْتَازَةً ، كَمَا بَنَيْنَا مِدْخَنَةً فِي الْخَارِجِ .

قُلْتُ : « وَالْآنَ ، هَيَّا نَجْرِبْ مِدْخَنَتَنَا ، لِنَرَى مَا إِذَا كَانَتْ تَعْمَلُ
عَلَى نَحْوِ سَلِيمٍ . »

وَأَشْعَلْنَا نَارًا ، لَكِنْ الدُّخَانُ مَلَأَ الْكَهْفَ . وَرَأَيْتُ الْحُزْنَ الشَّدِيدَ
يُصِيبُ الْأَوْلَادَ ، فَقَدْ ظَنُّوا أَنَّ كُلَّ مَجْهُودِهِمْ ذَهَبَ هَبَاءً .

قُلْتُ : « لَا ، لَا تَقْلَقُوا ، إِنَّ الطِّينَ الَّذِي اسْتَخْدَمْنَاهُ فِي الْبِنَاءِ لَا
يَزَالُ رَطْبًا ، وَعِنْدَمَا تُصْبِحُ الْمِدْخَنَةُ جَائِفَةً ، سَيَتَصَاعَدُ مِنْهَا الْهَوَاءُ
السَّاخِنُ ، وَيُصْبِحُ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ . أَبْقُوا النَّارَ مُشْتَغِلَةً مَدَّةَ
يَوْمَيْنِ ، وَسَتَجِدُونَ أَنَّهُ عِنْدَمَا تَجِفُّ الْمِدْخَنَةُ ، سَتَعْمَلُ عَلَى نَحْوِ
سَلِيمٍ تَمَامًا . »

وَحَدَّثَ مَا تَوَقَّعْتُ ، فَفِي مَسَاءِ الْيَوْمِ التَّالِيِ ، بَدَأَ الْهَوَاءُ يَتَصَاعَدُ
مِنَ الْمِدْخَنَةِ ، وَسَحَبَ مَعَهُ كُلَّ الدُّخَانِ مِنَ الْكَهْفِ إِلَى الْخَارِجِ .

قُلْتُ : « وَالْآنَ ، لَنْ نَقْلُقَ مِنْ مَجِيءِ الشِّتَاءِ . »

وَشَعَرْتُ زَوْجَتِي بِسَعَادَةٍ بِالْغَةِ ، وَقَالَتْ : « الْآنَ اسْتَطِيعُ أَنْ أَطْهَوْ
لَكُمْ ، وَأَجِفِّفَ مَلَابِسَكُمْ . وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَجْلِسَ حَوْلَ نَارٍ تُعْطِينَا
الدَّفْءَ وَالنُّورَ فِي أُمُوسِيَّاتِ الشِّتَاءِ . سَنَكُونُ سَعْدَاءً . »

اِكْتَشَفْتُ أَنَّهُ لَا يَزَالُ أَمَامَنَا أَعْمَالٌ كَثِيرَةٌ يَجِبُ أَنْ نُنْجِزَهَا ،
فَالْكَهْفُ كَانَ بَعِيدًا إِلَى حَدٍّ مَا عَنْ بَيْتِنَا فَوْقَ الشَّجَرَةِ .

وَأَتَيْنَا سَيْرِنَا فِي الْمَسَاءِ لِلْعُودَةِ إِلَى بَيْتِ الشَّجَرَةِ كَانَ إِرْنَسْتُ
صَامِتًا ، وَقَدْ اسْتَغْرَقَ فِي تَفْكِيرٍ عَمِيقٍ .

سَأَلْتُهُ : « مَاذَا بِكَ ، يَا إِرْنَسْتُ ؟ »

رَدَّ : « إِنَّ الطَّرِيقَ طَوِيلٌ مِنَ الْكَهْفِ إِلَى بَيْتِ الشَّجَرَةِ . وَخِلَالَ
الشَّتَاءِ ، سَيَكُونُ عَلَيْنَا أَنْ نَسِيرَ مِنَ الْكَهْفِ إِلَى بَيْتِ الشَّجَرَةِ
وَبِالْعَكْسِ ، مَرَّتَيْنِ كُلَّ يَوْمٍ ؛ لِإِطْعَامِ الْحَيَوَانَاتِ وَجَمْعِ الْبَيْضِ
وَحَلْبِ الْمَعَزِ . »

قال فرترز ضاحكاً : « إِنَّ إِرْنَسْتَ يَخْشَى الْبَلَلُ ، أَوْ لَعَلَّهُ يَخْشَى
التَّعَبَ ! »

أَجَبْتُ : « إِنَّ إِرْنَسْتَ عَلَى حَقٍّ ؛ فَالطَّرِيقُ طَوِيلٌ ، وَفِي الشَّتَاءِ
الْقَادِمِ سَيَكُونُ لَدَيْنَا عَدَدٌ أَكْبَرُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ . هَلْ فَكَّرْتَ فِي
ذَلِكَ ؟ لَقَدْ كَانَتْ الْخِرَافُ صَغِيرَةً عِنْدَمَا أَحْضَرْنَاهَا مِنَ السَّفِينَةِ ،
لَكِنَّهَا سَتَلِدُ صِغَارًا هَذَا الْعَامَ ، كَمَا أَنَّ الْمَعَزَ سَتَلِدُ صِغَارًا أَيْضًا ،
وَبَعْضُ الدَّجَاجِ يَحْضُنُ بَيْضَهُ ، لِذَلِكَ نَتَوَقَّعُ مَزِيدًا مِنَ الدَّجَاجِ
وَالْبَطِّ . »

سَأَلَ جَاك : « وَهَلْ سَيَكُونُ لَدَيْنَا مَزِيدٌ مِنَ الْقُرُودِ ؟ »

قُلْتُ : « لَا ، أَعْتَقِدُ أَنَّ الْقِرْدَ قَدْ يَهْرُبُ ، وَتَصْبِحُ لَهُ عَائِلَةٌ مِنَ
الْقُرُودِ الَّتِي تَعِيشُ فِي الْعَابَةِ . »

قال جاك : « لَا ، يَجِبُ أَنْ يَبْقَى مَعَنَا . »

قال إِرْنَسْتُ : « هَذَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ عَلَيْنَا أَنْ نَبْنِيَ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ
الْحِطَائِرِ عِنْدَ بَيْتِ الشَّجَرَةِ ، لِكَيْ نُقِيمَ بِهَا كُلَّ تِلْكَ الْحَيَوَانَاتِ . »

أَجَبْتُ : « لَا ، يَا إِرْنَسْتُ . بَلْ يَجِبُ أَنْ نُقِيمَ مَزْرَعَةً فِي
مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ بَيْنَ الْكَهْفِ وَالشَّجَرَةِ ، وَبِذَلِكَ تَكُونُ مُلَائِمَةً لَنَا
فِي الصَّيْفِ وَالشَّتَاءِ . »

قال فرترز : « كَمَا سَنَكُونُ فِي حَاجَةٍ إِلَى كَمِّيَّاتٍ أَوْفَرَ بِكَثِيرٍ مِنَ
الطَّعَامِ . »

قُلْتُ : « حَقًّا ، كَمْ كُنْتُ حَكِيمًا عِنْدَمَا أَحْضَرْتُ الْمِحْرَاثَ مِنَ
السَّفِينَةِ ! إِنَّ الْجَامُوسَتَيْنِ تَكْبُرَانِ ، وَسَيَكُونُ فِي اسْتِطَاعَتِهِمَا جَرُّ
الْمِحْرَاثِ ، وَكَمْ سَيُعَاوِنُنَا هَذَا مُعَاوَنَةً كَبِيرَةً فِي إِعْدَادِ حُقُولِ
جَدِيدَةٍ ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَدَيْنَا قَمْحٌ وَبَطَاطِسُ وَبُقُولٌ وَخَضِرَاوَاتٌ .
فَهَيَّا إِلَى الْعَمَلِ ، إِلَى الْعَمَلِ . »

وَهَكَذَا انْتَهَمَكُنَا فِي الْعَمَلِ ، وَقَضَيْنَا صَيْفًا لَمْ نَهْدَأْ فِيهِ .

وَمَلَأْنَا مَخْزَنَنَا فِي الْكَهْفِ بِكَمِّيَّاتٍ وَفِيرَةٍ مِنَ اللَّحْمِ الْمُمْلَحِ
وَالسَّمَكِ الْمَجْفَفِ ، وَثَمَارِ جَوْزِ الْهِنْدِ . وَفِي نِهَآيَةِ الْعَامِ قُمْنَا
بِاخْتِرَانِ الْبَطَاطِسِ ، ثُمَّ أَقْمْنَا مَخْزَنًا فِي الْمَزْرَعَةِ ، وَضَعْنَا فِيهِ

الحشائش الجافة ، وأنواعاً أخرى من طعام الحيوانات . كما بنينا
كوخاً صغيراً ، يُمكن لشخص منا أن يبيت فيه ؛ ليحرس الحيوانات
خلال الليل ، ويبعد عنها الحيوانات المفترسة .

سألت زوجتي : « وما الذي سنفعله في أمر الملابس ؟ إن هذه
الملابس التي جاء بها الفتيان من السفينة قد بليت تقريباً ، وتلك
التي وجدناها في صندوق البحارة غير صالحة إطلاقاً ؛ لقد أفسدها
ماء البحر وجعلها سريعة التمزق . إنها قد تنفعنا عاماً آخر ، لا
أكثر ، ولا بد أن أصنع ملابس جديدة . »

قال فرترز : « كيف يُمكن أن تقومي بصنع ملابس ؟ من أي
شيء تصنعينها ؟ ليس لدينا إلا خروفان . »

قلت : « ثمة نباتات يُمكن صنع الثياب منها . »

ولكن أتحدث عن المشاكل والصعوبات التي واجهتنا لنصنع
الملابس من النباتات ، لكن زوجتي استطاعت في النهاية أن تصنع
بضع قطع من القماش . لم تكن متقنة الصنع ، ولم يكن لونها
أبيض على الإطلاق ، لكن زوجتي كانت سعيدة جداً بها ، كما
أنها شغلت وقتها بصناعتها . ولمواجهة الاحتياجات العاجلة ، كان

الأولاد يحصلون على الجلود من الحيوانات . ولما كان الملح قد
أصبح متوافراً لدينا ؛ فقد أصبح في استطاعتنا إعداد تلك الجلود
للاستخدام ، كما أصبح في استطاعة زوجتي أن تصنع الملابس من
تلك الجلود .

وهكذا انقضى العام - عامنا الثاني على الجزيرة . كان نمو
الأولاد مستمرًا ، فأصبحوا أكبر وأقوى . كان فرترز يقترب من
السادسة عشرة ، وإرنست من الرابعة عشرة .

وأخذت أفكر في السنوات المقبلة ، فوجدت أنه سرعان ما سيكون
معي رجلان فتيان قويان ، يقدمان لي يد المساعدة في عملنا فوق
الجزيرة .

ولما كنت أتقدم في السن ، وقد قلت قدرتي على القيام
بالعمل الشاق ، فإنه سيكون في استطاعتهم أن يقوموا بدلاً مني
بالعمل الشاق . واستطعت أن ألاحظ أن جاك سريع التعلم ، كما
كان قادراً على مساعدة والدته مساعدات كبيرة . أما بالنسبة للصغير
فرنسيس فلم يصبح بعد ذا فائدة ، فلقد كان غلاماً صغيراً حسن
السلوك ، لا يسبب لنا إلا متاعب قليلة .

الفصل السابع عشر السَّنواتُ تَمُرُّ

اسْتَطَعْنَا بِمُرُورِ الْأَعْوَامِ ، أَنْ نُحَسِّنَ بَيْتَنَا فَوْقَ الشَّجَرَةِ وَبَيْتَنَا فِي الْكَهْفِ ؛ فَصَنَعْنَا سَقْفًا خَشَبِيًّا لِلْبَيْتِ فَوْقَ الشَّجَرَةِ ، فَمَنَعْنَا مَاءَ الْمَطَرِ مِنَ التَّسَرُّبِ دَاخِلَ الْبَيْتِ ، كَمَا حَدَثَ فِي أَوَّلِ شِتَاءِ لَنَا . وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَّ بَيْتُنَا غَيْرَ صَالِحٍ لِمَوْسِمِ الْأَمْطَارِ . كَمَا صَنَعْنَا لَهُ سُلَّمًا مِنْ دَرَجَاتٍ ، بَدَلًا مِنْ سُلَّمِ الْحِبَالِ . وَشَيْدْنَا عُرْفَةً أَمَامَ مَدْخَلِ الْكَهْفِ ، لِنَجْلِسَ فِيهَا وَنَسْتَمْتِعَ بِهَوَاءِ الْبَحْرِ وَضَوْءِ الشَّمْسِ . وَقَدْ ظَلَّ الْكَهْفُ أَقْرَبَ إِلَى الْعَتَمَةِ ، لَكِنَّا اسْتَخْدَمْنَاهُ كَعُرْفٍ لِنُؤْمِنَا ، كَمَا أَنَّ أَحَدَ جَوَانِبِهِ كَانَ مَطْبَخَنَا وَفِيهِ الْمِدْخَنَةُ . وَفَتَحْنَا كُوَّةً صَغِيرَةً فِي أَقْرَبِ جَوَانِبِ الْكَهْفِ إِلَى الْهَوَاءِ الْخَارِجِيِّ ، لَكِنْ هَذَا الْعَمَلُ اسْتَلْزَمَ مِنَّا جُهْدًا شَاقًا .

وَاتَّسَعَتِ الْمَزْرَعَةُ ؛ فَكَانَ عِنْدَنَا الْجَامُوسُ لِجَرِّ الْمِحْرَاثِ ، كَمَا

اسْتَطَعْنَا أَنْ نَصْنَعَ عَرَبَةً ذَاتَ عَجَلَاتٍ خَشَبِيَّةٍ . لَقَدْ كَانَتْ ثَقِيلَةً الْوِزْنَ جَدًّا ، لَكِنْ كَانَ فِي اسْتَطَاعَةِ الْجَامُوسَتَيْنِ أَنْ تَقُومَا بِجَرِّهَا . وَحَصَلْنَا مِنَ الْجَامُوسَتَيْنِ عَلَى مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ لَبَنٍ ، كَمَا نَجَحْنَا فِي صُنْعِ حَاجَتِنَا مِنَ الزُّبْدِ .

وَقَرَّرْنَا أَلَّا نَزِيدَ مَا عِنْدَنَا مِنْ مَعِزٍّ ؛ فَهِيَ حَيَوَانَاتٌ مُتَلَفَّةٌ ؛ فَلَقَدْ أَكَلَتِ الْأَشْجَارَ الصَّغِيرَةَ الَّتِي زَرَعْنَاهَا ، وَأَحْيَانًا ، إِذَا دَخَلَتْ حُقُولَ الْمَزْرَعَةِ ، كَانَتْ تُدَمِّرُ الْعَمَلَ الَّذِي اسْتَعْرِقَ مِنَّا أَيَّامًا كَثِيرَةً لِنَقُومَ بِهِ . لَقَدْ هَرَبَتِ اثْنَتَانِ مِنْهَا ، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَمْتَلِئَ الْجَزِيرَةُ كُلُّهَا بِالْمَعِزِّ ، وَأَنْ يَنْتِجَ عَنْ ذَلِكَ إِتْلَافٌ كُلِّ شَيْءٍ بِسُرْعَةٍ شَدِيدَةٍ ؛ لِهَذَا اسْتَخْدَمْنَاهَا كَمَصْدَرٍ لِلْحُصُولِ عَلَى اللَّحْمِ .

وَفِي فَصْلِي الرَّبِيعِ وَالصَّيْفِ ، كُنَّا نَحْصُلُ مِنْ دَجَاجَاتِنَا عَلَى كَمِّيَّاتٍ مِنَ الْبَيْضِ أَكْثَرَ مِمَّا نَسْتَطِيعُ أَكْلَهُ . أَمَّا فِي الشِّتَاءِ ، فَكُنَّا نَحْصُلُ عَلَى مَا يَكْفِينَا فَقَطُّ مِنْ بَيْضٍ . وَوَلَدَتِ الْحِمَارَةُ الْوَحْشِيَّةُ جَحْشًا جَمِيلَ الشَّكْلِ ، وَكَانَ تَدْرِيئُهُ أَسْهَلَ مِنْ تَدْرِيبِ أُمِّهِ . كَمَا أَصْبَحَتْ لَدَيْنَا حُقُولٌ وَاسِعَةٌ لَهَا أَسْوَارٌ مَنِيعَةٌ ، وَصَارَ فِي اسْتَطَاعَتِنَا أَنْ نَحْصُلَ مِنْ زَرَاعَاتِنَا عَلَى كُلِّ أَلْوَانِ الطَّعَامِ الَّذِي نَحْتَاجُ إِلَيْهِ نَحْنُ أَوْ حَيَوَانَاتُنَا .

وَكَاثَتْ لَدَيْنَا مَشَاكِلُ . وَلَعَلَّ أَسْوَأَ مَا حَدَثَ تِلْكَ الْغَارَةُ الَّتِي
شَتَّهَا الْقُرُودُ عَلَى الْمَزْرَعَةِ ؛ فَذَاتَ صَبَاحٍ ، عَادَ جَاكَ يَجْرِي وَهُوَ
يَصِيحُ : « أَبِي ، أَسْرِعْ لِتَرَى مَا الَّذِي حَدَثَ فِي الْمَزْرَعَةِ ! »

وَأَسْرَعْتُ إِلَى هُنَاكَ ؛ لِأَرَى كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَزْرَعَةِ مُتَنَاقِضًا هُنَا
وَهُنَاكَ وَمَحْطَمًا : الْأَسْوَارُ قَدْ انْتَزَعَتْ مِنْ مَكَانِهَا ، وَالنَّبَاتَاتُ النَّامِيَّةُ
فِي الْحُقُولِ قَدْ أَتْلَفَتْ أَوْ أُقْتِلِعَتْ وَالْقَيْتُ بَعِيدًا . كَانَ الْأَمْرُ كَأَنَّ
جَيْشًا مِنَ الْأَعْدَاءِ قَدْ أَغَارَ عَلَى الْمَكَانِ ، وَحَطَّمْ كُلَّ شَيْءٍ .

قُلْتُ : « هَذَا أَمْرٌ لَا يَجِبُ أَنْ يَتَكَرَّرَ ثَانِيَةً أَبَدًا . »

وَكَانَ كَلْبَانَا طَرِكَ وَفَلُّورَا قَدْ أَنْجَبَا عَدَدًا مِنَ الصَّغَارِ ، بَلَغَتْ
السَّنَ الَّتِي يُمَكِّنُ فِيهَا تَدْرِيْبَهَا . وَاتَّفَقْنَا عَلَى أَنْ يَنَامَ فِرْتَزُ أَوْ إِرْنَسْتُ
أَوْ أَنَا فِي الْمَزْرَعَةِ ، وَمَعَهُ الْكِلَابُ . وَدَرَّبْنَا الْكِلَابَ عَلَى مُطَارَدَةِ أَيِّ
قِرْدٍ عِنْدَمَا تَرَاهُ . وَقَدْ عَادَتِ الْقِرَدَةُ مَرَّةً أُخْرَى أَوْ مَرَّتَيْنِ ، وَكُنَّا
نَطْرُدُهَا وَبَعْدَ فِتْرَةٍ ، كَفْتُ عَنْ الْاِقْتِرَابِ مِنْ مَزْرَعَتِنَا .

وَعِنْدَمَا كُنْتُ أَتَأَمَّلُ نُمُوَ أَبْنَائِي ، كُنْتُ أَشْعُرُ بِسَعَادَةٍ بِالْغَةِ .
كَانَتْ أَجْسَامُهُمْ أَكْبَرَ وَأَقْوَى كَثِيرًا مِمَّا لَوْ كَانُوا فِي أَوْرُبَا . كَانَ
فِرْتَزُ فَارِعًا وَقَوِيًّا ، وَلَمْ يَكُنْ إِرْنَسْتُ فِي مِثْلِ حَجْمِهِ ، لَكِنَّهُ كَانَ
أَكْثَرَ هُدُوءًا ، وَيَتَنَابَهُ الْكَسَلُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ
شَدِيدَ الْكَسَلِ كَمَا كَانَ فِي طُفُولَتِهِ . كَانَ يَكْتُبُ أَسْمَاءَ كُلِّ
النَّبَاتَاتِ الْمَوْجُودَةِ عَلَى الْجَزِيرَةِ ، كَمَا كَانَ يَرَسُمُ صُورًا لَهَا . وَقَدْ
صَنَعَ بَعْضَ الْأَوْرَاقِ مِنْ أَلْيَافِ سَيْقَانِ نَبَاتَاتٍ طَوِيلَةٍ ، مِثْلَمَا فَعَلَ
الْمِصْرِيُّونَ الْقَدَمَاءُ مُنْذُ آلَافِ السِّنِينَ . وَكَانَ يُمَكِّنُ الْاعْتِمَادَ عَلَى
فِرَانْسِيْسٍ أَكْثَرَ مِنْ جَاكَ ، رَغْمَ أَنَّ جَاكَ كَانَ يَتَّعَاوَنُ إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ
فِي أَعْمَالِ الْمَزْرَعَةِ ، أَمَّا فِرْنْسِيْسُ فَكَانَ يُسَاعِدُ أُمَّهُ .

بَطُولِ الْمَسَافَةِ بَيْنَ الدَّائِرَتَيْنِ . وَبِحَرُصٍ شَدِيدٍ انْتَزَعْنَا اللَّحَاءَ مِنْ
حَوْلِ الشَّجَرَةِ ، فَقَدْ كُنَّا نَخْشَى أَنْ يَتَهَشَّمَ وَنَحْنُ نَنْزِعُهُ ، لَكِنْ لَمْ
يَحْدُثْ شَيْءٌ مِنْ هَذَا .

وَأخِيرًا سَقَطَ اللَّحَاءُ مِنْ حَوْلِ الشَّجَرَةِ قِطْعَةً وَاحِدَةً . وَأَخَذْنَا قِطْعًا
مِنَ الْخَيْزُرَانِ وَالْقَصَبِ ، وَثَبَّتْنَاهَا إِلَى اللَّحَاءِ ، حَتَّى يَتَّخِذَ الشَّكْلَ
الْمُنَاسِبَ ، ثُمَّ ضَمَمْنَا الْجَانِبَيْنِ مَعًا عِنْدَ كُلِّ طَرَفٍ مِنْ طَرَفَيْ
الزُّورِقِ ، وَثَبَّتْنَاهُمَا مَعًا . وَعَثَرْنَا عَلَى عُصَارَةِ لَزْجَةٍ ، حَصَلْنَا عَلَيْهَا
مِنْ شَجَرَةٍ بَعَيْنِهَا . وَكَانَتْ تِلْكَ الْعُصَارَةُ تَجِفُّ سَرِيعًا ، فَاسْتَحْدَمْنَاهَا
لِنَمْلَأَ كُلَّ الشُّقُوقِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يَتَسَرَّبَ مِنْهَا الْمَاءُ .

قَالَ فَرْتَزُ : « عِنْدَمَا يَشُقُّ الزُّورِقُ الْمَاءَ ، فَإِنَّ الْمَاءَ سَوْفَ يَتَسَرَّبُ إِلَيْهِ
مِنَ الْمَقْدَمَةِ ، وَ مِنْ الْمُوْخِرَةِ أَيْضًا . وَاعْتَقِدْ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ نُغَطِّيَ
الْمَقْدَمَةَ وَالْمُوْخِرَةَ ، وَلَا نَتْرَكَ إِلَّا مَكَانًا فِي الْوَسْطِ كَيْ أَجْلِسَ فِيهِ . »

قُلْتُ : « هَذَا صَحِيحٌ ، يَجِبُ أَنْ نَضَعَ غِطَاءً خَفِيفًا لِنَمْنَعَ الْمَاءَ
مِنَ التَّسَرُّبِ إِلَى الزُّورِقِ . »

كَذَلِكَ صَنَعْنَا مَجْدَافًا يَنْتَهِي طَرَفَاهُ بِمِسَاحَةٍ مُسَطَّحَةٍ . وَعِنْدَمَا
انْتَهَيْنَا مِنْ صُنْعِ زُّورِقِ الْكَانُو ، تَرَكْنَاهُ عِدَّةَ أَيَّامٍ لِيَجِفَّ ، ثُمَّ
وَضَعْنَاهُ فِي الْمَاءِ لِتَجْرِبَتِهِ . وَفِي الْبِدَايَةِ كَانَ الزُّورِقُ يَنْقَلِبُ رَأْسًا عَلَى

الفصل الثامن عشر

زُورِقُ الْكَانُو

ذَاتَ صَبَاحٍ ، قَالَ لِي فَرْتَزُ : « أَوَدُّ الدُّهَابَ بِنَفْسِي لِأَعْرِفَ مَزِيدًا
مِنَ الْمَعْلُومَاتِ عَنْ تِلْكَ الْأَجْزَاءِ مِنَ الْجَزِيرَةِ الَّتِي لَمْ نَشَاهِدْهَا
بَعْدُ . إِنَّ زُورِقَ السَّفِينَةِ أَثْقَلُ مِمَّا يُمَكِّنُ لِشَخْصٍ وَاحِدٍ أَنْ يُجَرِّبَهُ .
أَرِيدُ أَنْ أَصْنَعَ زُورِقًا خَفِيفًا مِمَّا يُسَمَّى « كَانُو » . »

قُلْتُ : « هَذَا صَحِيحٌ ، وَاعْتَقِدْ أَنَّهُ يُمْكِنُنَا صُنْعُ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ
الزُّوَارِقِ . لَقَدْ رَأَيْتُ زُوَارِقَ كَانُو مَصْنُوعَةً مِنْ لِحَاءِ الشَّجَرِ . دَعْنَا نَرِ
كَيْفَ أَسْتَطِيعُ مُعَاوَنَتَكَ فِي صُنْعِهِ . »

وَعَثَرْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ضَخْمَةٍ ، لَهَا لِحَاءٌ قَوِيٌّ يَغْطِي خَشَبَهَا ،
فَقَطَعْتُ حَلْقَةً حَوْلَ اللَّحَاءِ عِنْدَ أَسْفَلِ الْجَذْعِ ، ثُمَّ ثَبَّتْنَا سُلْمًا مِنْ
الْحَبَالِ فِي أَحَدِ الْأَغْصَانِ . وَطَلَبْتُ مِنْ فَرْتَزِ أَنْ يَقْطَعَ حَلْقَةً أُخْرَى
عَلَى ارْتِفَاعِ سِتَّةِ أَمْثَارٍ مِنَ الْمَكَانِ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ صَنَعْتُ شَقًّا فِي اللَّحَاءِ

عَقِبَ ، وَكَانَ فَرْتَزُ يَسْقُطُ مَعَهُ فِي الْمَاءِ .

قال فَرْتَزُ : « إِنَّ الْأَمْرَ صَعْبٌ . وَقَدْ لَا أُسْتَطِيعُ الدَّهَابَ بَعِيدًا إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ أَمْوَاجٌ كَثِيرَةٌ . »

قُلْتُ : « لَا ، إِنَّ زَوْرَقَ الْكَانُو صَالِحٌ جَدًّا لِلْإِبْحَارِ ، سِوَاءِ كَانَ الْبَحْرُ هَادئًا أَوْ الْأَمْوَاجُ عَالِيَةً ، لَكِنْ يَجِبُ أَنْ نَقُومَ بِإِضَافَةِ شَيْءٍ آخَرَ لِمُؤَاجَهَةِ الْأَمْوَاجِ . أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَجِبُ تَزْوِيدُ الزَّوْرَقِ بِمَا يُسَمَّى « الطُّوفَ الْخَارِجِيَّ » . إِنَّهُ يَتَكَوَّنُ مِنْ عَمُودَيْنِ طَوِيلَيْنِ تُثَبَّتُهُمَا فِي الْقَارِبِ ، وَفِي نِهَائِيَّتَهُمَا تُثَبَّتُ طَوْفًا يُشَبِّهُ الزَّوْرَقَ الصَّغِيرَ . إِنَّ هَذَا سَيَمْنَعُ انْقِلَابَ الْقَارِبِ وَسَطَ الْأَمْوَاجِ . »

قال فَرْتَزُ : « قَدْ يَبْطِئُ هَذَا سَيْرَ الْقَارِبِ ، لَكِنَّهُ سَيُعْطِي أَمَانًا أَكْثَرَ . وَأُظَنُّ أَنَّهُ مَعَ اسْتِعْمَالِ الطُّوفِ الْخَارِجِيِّ ، سَيُصْبِحُ فِي إِمْكَانِي أَنْ أَسْتَخْدِمَ شِرَاعًا لِزَوْرَقِي ، فَإِذَا تَعَرَّضَ الزَّوْرَقُ لِلانْقِلَابِ ، أَلْقِي بِثِقَلِي نَاحِيَةَ الطُّوفِ الْخَارِجِيِّ ، فَأَعِيدُ التَّوَازُنَ إِلَى الْقَارِبِ . »

وَقَدْ نَفَقْنَا هَذِهِ الْأَقْتِرَاحَاتِ . وَبَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ أَصْبَحَ فِي اسْتَطَاعَةٍ فَرْتَزُ أَنْ يَسْتَخْدِمَ شِرَاعًا صَغِيرًا فِي زَوْرَقِهِ ، كَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يُجْهَرَ آمِنًا بَيْنَ أَمْوَاجٍ عَالِيَةٍ .

الفصل التاسع عشر

جيني

ذاتَ يَوْمٍ ، انْطَلَقَ فَرْتَزُ بِزَوْرَقِهِ الصَّغِيرِ ، وَغَابَ عَنَّا طَوَالَ النَّهَارِ . وَأَقْبَلَ الْمَسَاءَ وَلَمْ يَرْجِعْ ، فَقَلِقْتُ زَوْجَتِي ؛ فَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ ثَمَّ مَكْرُوهٌ قَدْ أَصَابَهُ . وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ ، صَعَدْنَا إِلَى قِمَّةِ تَلٍّ ، لَكِنَّا لَمْ نَرِ أَيَّ أَثَرٍ لَهُ . وَفَجْأَةً قَالَ إِرْنِسْتُ ، وَهُوَ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ : « أَنْظُرُوا إِلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ الْأَسْوَدِ الْبَعِيدِ . »

وَنَظَرْنَا ، وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَ ذَلِكَ الشَّيْءُ ، تَبَيَّنَا أَنَّهُ فَرْتَزُ فِي زَوْرَقِهِ ، فَأَسْرَعْنَا كُلُّنَا لِمُلَاقَاتِهِ . وَأَثْنَاءَ تَنَاوُلِهِ الطَّعَامَ حَكَى لَنَا حِكَايَتَهُ .

قال : « كُنْتُ أَرْغَبُ دَائِمًا فِي مَعْرِفَةِ الْمَزِيدِ عَنِ الْأَرْضِ الَّتِي تَقَعُ فِي الْغَرْبِ . إِنَّمَا لَمْ نَبْتَعِدْ قَطُّ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي نَزَلْنَا فِيهِ إِلَى الشَّاطِئِ مِنْذُ سَنَوَاتٍ مَضَتْ ؛ لِذَلِكَ قَرَّرْتُ أَنْ أَذْهَبَ وَأَسْتَكْشِفَ . لَقَدْ أَخَذْتُ مَعِيَ بُنْدُقِيَّتِي وَبَعْضَ الْبَارُودِ ، الَّذِي وَضَعْتُهُ فِي حَقِيْبَةٍ

لأَحْتَفِظَ بِهِ جَافًا ، كَمَا أَخَذْتُ خَيْطَ صَيْدٍ وَسَكِينًا . وَوَصَلْتُ إِلَى
الْمَكَانِ الَّذِي وَجَدْنَا فِيهِ الْأَصْدَفَ عَقِبَ وَصُولِنَا إِلَى الشَّاطِئِ ،
فَالْتَقَطْتُ وَاحِدَةً وَفَتَحْتُهَا ، وَفِي دَاخِلِهَا وَجَدْتُ هَذِهِ .

وَفَتَحَ قَبْضَتَهُ ، فَرَأَيْنَا فِيهَا لَوْلُؤَةً كَبِيرَةً ، ثُمَّ أَضَافَ : « وَفَتَحْتُ
عَدَدًا غَيْرَهَا ، فَوَجَدْتُ كَثِيرًا مِنَ اللَّالِئِ . أَنْظُرُوا ! » وَأَخْرَجَ مِنْ
جَيْبِهِ مَا يَمْلَأُ قَبْضَةَ الْيَدِ مِنَ اللَّالِئِ الْجَمِيلَةِ .

قَالَ جَاك : « يُمَكِّنْ أَنْ نَصْنَعَ عَقْدًا مِنْهَا لَأَمْنًا . »

قَالَتْ زَوْجَتِي : « لَا ، لَا ، لَسْتُ أُرِيدُهَا . مَاذَا يُمْكِنُ أَنْ أَفْعَلَ
بِعَقْدٍ مِنَ اللَّالِئِ ؟ »

قُلْتُ : « ذَاتَ يَوْمٍ ، قَدْ يَرْعَبُ أَحَدُكُمْ فِي الْعُودَةِ إِلَى أَوْرَبَا ،
وَعِنْدَيْدٍ سَيَحْتَاجُ إِلَى نُقُودٍ . وَلَعَلَّ سَفِينَةً قَدْ تَأْتِي ، فَتَعُودُ بِكُمْ إِلَى
هُنَاكَ . وَهَذِهِ ثُرُوءٌ ضَخْمَةٌ ، سَوْفَ نَحْتَفِظُ بِهَا فِي مَكَانٍ أَمِينٍ . »

قَالَ فِرْتَز : « إِنِّي لَمْ أَخْبِرْكُمْ بَعْدُ بِأَهَمِّ جُزْءٍ فِي قِصَّتِي ؛ لَقَدْ
تَقَدَّمْتُ إِلَى مَنَاطِقَةٍ مِنَ الْجَزِيرَةِ لَمْ نَذْهَبْ إِلَيْهَا مِنْ قَبْلُ ، وَفِي الْمَسَاءِ
جَلَسْتُ عَلَى الشَّاطِئِ أَتَنَاوَلُ طَعَامًا . وَفِيمَا أَنَا جَالِسٌ هُنَاكَ ، رَفَرَفَ
فَوْقِي طَائِرٌ كَبِيرٌ ، كَانَ يَطِيرُ بِصُعُوبَةٍ وَيَبْطِئُ شَدِيدَيْنِ ، وَقَدْ أَطْلَقْتُ

النَّارَ عَلَيْهِ . وَعِنْدَمَا أَمْسَكْتُهُ اكْتَشَفْتُ لِمَاذَا كَانَ يَطِيرُ يَبْطِئُ ؛ كَانَ
مُصَابًا فِي جَنَاحِهِ . وَقَدْ وَجَدْتُ مَعَهُ شَيْئًا غَرِيبًا جِدًّا . »

وَعَرَضَ عَلَيْنَا قِطْعَةً قُمَاشٍ صَغِيرَةً عَلَيْهَا كِتَابَةٌ ، وَقَالَ :
« كَانَتْ هَذِهِ مَرْبُوطَةً إِلَى سَاقِهِ . »

نَظَرْتُ إِلَى الْكِتَابَةِ ، وَقَرَأْتُ : « النَّجْدَةُ ! ثُمَّ بَحَارَ عَلَى الْجَزِيرَةِ
الْمُدْخَنَةِ . » ثُمَّ قُلْتُ : « يَبْدُو كَأَنَّهَا كُتِبَتْ بِالْدَّمِ ! »

قَالَ فِرْتَز : « هَذَا صَحِيحٌ ، لَكِنْ أَيْنَ تِلْكَ الْجَزِيرَةُ الْمُدْخَنَةُ ؟ لَقَدْ
صَعِدْتُ فَوْقَ التَّلِّ الَّذِي كُنْتُ أَجْلِسُ بِجَوَارِهِ ، وَنَظَرْتُ إِلَى الْبَحْرِ
الْوَاسِعِ ، وَهُنَاكَ ، بَعِيدًا ، فِي عَرْضِ الْبَحْرِ ، رَأَيْتُ دُخَانًا ضَعِيفًا
يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ ، كَانَ يَصْعَدُ مِنْ جَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ . »

تَوَقَّفَ فِرْتَز ، ثُمَّ أَضَافَ : « يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ لِأَسْحَبَ الزُّورُقَ ،
وَأَضَعَهُ فَوْقَ الرَّمَالِ ؛ فَإِنَّ الرِّيحَ تَشْتَدُّ . »

وَأَنْصَرَفَ فَتَبِعْتُهُ . لَقَدْ لَاحَظْتُ أَنَّ لَدَيْهِ شَيْئًا آخَرَ لَمْ يَقُلْهُ ،
وَلَعَلَّهُ لَمْ يَكُنْ يُرِيدُ الْإِفْصَاحَ عَنْهُ فِي حُضُورِ الْبَاقِينَ . وَكُنْتُ مُصِيبًا
فِي تَفْكِيرِي . وَتَعَاوَنًا فِي سَحَبِ زُورُقِ الْكَانُوا إِلَى رِمَالِ الشَّاطِئِ ، ثُمَّ
جَلَسْنَا حَيْثُ حَكَى بَقِيَّةَ قِصَّتِهِ .

قال : « لَقَدْ أَبْحَرْتُ بِقَارِبِي إِلَى الْجَزِيرَةِ ، وَصَعِدْتُ إِلَى أَكْثَرِ أَمَاكِنِهَا ارْتِفَاعًا ، حَيْثُ وَجَدْتُ غَابَةً صَغِيرَةً ، عَثَرْتُ فِيهَا عَلَى كَوْخٍ صَغِيرٍ مَصْنُوعٍ مِنَ الْأَغْصَانِ . وَأَمَامَ الْكَوْخِ كَانَتْ ثَمَّةٌ نَارٌ عَلَيْهَا أَسْمَاكَ يَتِمُّ طَهْيُهَا فِي صَدَقَةٍ كَبِيرَةٍ ، فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ شَجَرَةٍ ، وَانْتَظَرْتُ . وَعِنْدَئِذٍ رَأَيْتُ شَخْصًا يَرْتَدِي مِعْطَفَ ضَابِطٍ سَفِينَةٍ ، يَخْرُجُ مِنَ الْكَوْخِ ، ثُمَّ اتَّجَهَتْ إِلَى النَّارِ لِتَرَى مَا إِذَا كَانَ السَّمَكُ قَدْ نَضِجَ . وَعِنْدَئِذٍ خَرَجْتُ مِنْ مَخْبِئِي ، فَاسْتَدَارَتْ نَحْوِي . »

قُلْتُ : « إِنَّكَ تَقُولُ اتَّجَهْتُ وَاسْتَدَارَتْ ، أَمْ تَتَحَدَّثُ عَنْ أَتَشَى ؟ »

قال فِرْتَز : « نَعَمْ ، لَقَدْ كَانَتْ شَابَةً صَغِيرَةً . وَلَكِنِّي لَا تَخَافُ ، طَمَأَنْتُهَا ، وَأَخْبَرْتُهَا أَنَّ وَالِدِي وَوَالِدَتِي وَإِخْوَتِي يَعِيشُونَ فِي مَأْوَى ، يُمَكِّنُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ بَعْدَ سَفَرٍ يَوْمٍ وَاحِدٍ ، وَيُمْكِنُهُمْ أَنْ يَحْضُرُوا لِيَصْطَبِحُوهَا مَعَهُمْ . »

قُلْتُ : « مِنْ الْمُؤَكَّدِ أَنَّكَ سَنَفْعَلُ ذَلِكَ . وَلَكِنْ أَخْبِرْنِي بِالْمَزِيدِ عَنْهَا . »

« وَالِدُهَا هُوَ السَّيْرُ « وَلِيَامُ مَوْتَرُوز » ، وَهُوَ ضَابِطٌ فِي جَيْشِ الْهِنْدِ . وَقَدْ مَاتَتْ وَالِدَتُهَا عِنْدَ وَلَدَتِهَا . وَكَانَ وَالِدُهَا عَائِدًا مَعَ رَجَالِهِ فِي سَفِينَةٍ إِلَى إِنْجَلْتِرَا ؛ لِذَلِكَ اضْطُرْتُ « جِينِي » أَنْ تُسَافِرَ

فِي سَفِينَةٍ أُخْرَى . وَقَدْ تَحَطَّمَتْ تِلْكَ السَّفِينَةُ أَثْنَاءَ عَاصِفَةٍ مُنْذُ أَكْثَرِ مِنْ عَامٍ ، فَغَادَرْتُهَا فِي زَوْرَقٍ مَعَ أَحَدِ ضَبَّاطِ السَّفِينَةِ وَبَعْضِ الْبَحَّارَةِ . وَلَقَدْ أَعْطَاهَا الضَّابِطُ مِعْطَفَهُ ، كَمَا أَعْطَاها مِنْظَارُهُ الْمُقَرَّبَ ، وَطَلَبَ مِنْهَا اسْتِخْدَامَهُ لِلْبَحْثِ عَنْ آيَةِ سَفِينَةٍ أُخْرَى أَوْ عَنْ يَابِسَةٍ . ثُمَّ هَبَّتْ عَاصِفَةٌ أُخْرَى ، وَارْتَفَعَتْ مَوْجَةٌ عَاتِيَةٌ فَوْقَ الزَّوْرَقِ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ لَمْ تَدْرِ مَاذَا حَدَثَ . وَعِنْدَمَا فَتَحْتُ عَيْنَيْهَا ، وَجَدْتُ نَفْسَهَا فَوْقَ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الصَّغِيرَةِ . »

تَسَاءَلْتُ : « كَيْفَ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَعِيشَ هُنَاكَ أَكْثَرَ مِنْ عَامٍ ؟ »

أَجَابَ : « لَقَدْ سَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ . إِنَّ لَدَيْهَا أَصْدَاقًا ، كَمَا كَانَتْ هُنَاكَ ثِمَارُ جَوْزِ الْهِنْدِ عَلَى الْأَشْجَارِ . لَقَدْ صَنَعْتُ خَيْطًا لِلصَّيْدِ مِنْ شَعْرِهَا ، وَمِنْ دَبَّوسٍ أَخَذْتُهُ مِنْ مَلَابِسِهَا ، وَاسْتَطَاعَتْ أَنْ تَصِيدَ سَمَكًا صَغِيرًا . وَاسْتَخْدَمَتْ عَدَسَةً مِنْ عَدَسَاتِ الْمِنْظَارِ لِإِشْعَالِ النَّارِ ، عَنْ طَرِيقِ تَرْكِيزِ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ عَلَى الْأَغْصَانِ الْجَافَةِ . »

« وَصَنَعْتُ قَفْصًا لِلطُّيُورِ مِنَ الْخَيْزُرَانِ ، لَكِنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَصِيدَ إِلَّا بَعْضَ الطُّيُورِ الصَّغِيرَةِ . أَمَّا الطَّائِرُ الْكَبِيرُ الَّذِي اصْطَلَدْتُهُ أَنَا ، فَقَدْ كَانَ مُصَابًا فِي جَنَاحِهِ ، وَسَقَطَ فَوْقَ جَزِيرَتِهَا ، فَرَبَطْتُ إِلَى سَاقِهِ تِلْكَ الْقِطْعَةَ مِنَ الْقِمَاشِ الَّتِي تَطْلُبُ فِيهَا النُّجْدَةَ . وَهِيَ

تَرْجُو أَنْ يَتِمَّكَ شَخْصٌ مِنَ الْعُثُورِ عَلَيْهَا .

قُلْتُ : « وَبِتَدْبِيرٍ مِنَ اللَّهِ ، وَصَلَتْ الرُّسَالَةُ إِلَيْكَ . »

قال فرترز : « هَذَا صَحِيحٌ . وَمَا إِنْ سَمِعْتَ قِصَّتَهَا ، حَتَّى شَرَعْتَ فِي الْعَوْدَةِ فَوْرًا . وَلَمْ يَكُنْ فِي اسْتِطَاعَتِي أَنْ أَقْطَعَ طَرِيقَ الْعَوْدَةِ كُلَّهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي بَقِيَ مِنَ الْيَوْمِ ، لِذَلِكَ قَضَيْتُ اللَّيْلَ نَائِمًا عَلَى الشَّاطِئِ ، ثُمَّ اسْتَأْنَفْتُ رِحْلَتِي مَعَ ظُهُورِ أَوَّلِ ضَوْءٍ . تُرَى هَلْ نَسْتَطِيعُ الذَّهَابَ الْيَوْمَ إِلَى جِينِي ؟ »

قُلْتُ : « يُمَكِّنُنَا ، إِذَا بَدَأْنَا رِحْلَتَنَا فِي الْحَالِ . »

عُدْتُ ، وَأَخْبَرْتُ زَوْجَتِي بِكُلِّ شَيْءٍ عَنْ جِينِي ، وَطَلَبْتُ مِنْهَا أَنْ تُعِدَّ كُلَّ شَيْءٍ لَاسْتِقْبَالِهَا . وَأَخَذْنَا مَعَنَا طَعَامًا يَكْفِي يَوْمًا ، ثُمَّ أَبْحَرْتُ أَنَا وَفَرْتَرزُ وَإِرْنَسْتُ فِي زَوْرَقٍ .

كَانَتْ جِينِي تَقِفُ عَلَى الشَّاطِئِ ، تُلَوِّحُ لَنَا وَنَحْنُ نَقْتَرِبُ مِنَ الْجَزِيرَةِ . وَعِنْدَمَا نَزَلْنَا مِنْ زَوْرَقِنَا إِلَى الشَّاطِئِ ، أَلْقَتْ بِذِرَاعَيْهَا حَوْلَ عُنُقِي ، وَقَدْ مَنَعَتْهَا الدَّمُوعُ مِنَ النُّطْقِ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ .

وَأَثْنَاءَ عَوْدَتِنَا ، كَانَ فَرْتَرزُ يُشِيرُ إِلَى بَعْضِ الْأَمَاكِنِ الَّتِي نَمُرُّ بِهَا ، وَيَقُولُ : « فِي هَذَا الْمَكَانِ ، سَقَطَ الطَّائِرُ الَّذِي كَانَ يَحْمِلُ

الرُّسَالَةَ ، وَهَذَا هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي وَجَدْتُ فِيهِ كَثِيرًا مِنَ اللَّالِئِ ، وَعَلَى هَذِهِ الصُّخُورِ تَحَطَّمَتِ سَفِينَتُنَا ، وَقَدْ أَقْمَنَا خَيْمَتَنَا فِي هَذَا الْمَكَانِ ، وَهُنَا مَصَبُ النَّهْرِ . أَنْظِرِي إِلَى مَجْرَى النَّهْرِ ! يَسْهُلُ عَلَيْكَ أَنْ تُشَاهِدِي الْجِسْرَ ، لَقَدْ حَطَّمَتْهُ الْمِيَاهُ فِي شِتَائِنَا الْأَوَّلِ ، لَكِنَّا أَقْمْنَا جِسْرًا أَقْوَى . وَهُنَاكَ ... » وَكَادَ أَنْ يَقُولَ : « وَهُنَاكَ بَيْتُ الشَّجَرَةِ . » لَكِنَّهُ شَاهَدَ أُمَّهُ وَشَقِيقَيْهِ يَنْتَظِرُونَ عَلَى الشَّاطِئِ ، لِيَسْتَقْبِلُوا جِينِي .

وَاصْطَحَبَتْهَا زَوْجَتِي وَهِيَ تَقُولُ لَهَا : « سَأَعْطِيكَ مَلَابِسَ تُشَبِّهُ تَمَامًا مَا يَرْتَدِيهِ أَبْنَائِي ، فَهَذَا هُوَ كُلُّ مَا لَدَيْنَا مِنْ مَلَابِسٍ . »

وَبَعْدَ أَنْ اغْتَسَلَتْ جِينِي ، وَارْتَدَتْ مَلَابِسَ الْبَحَّارَةِ ، انْضَمَّتْ إِلَيْنَا ، وَتَنَاوَلْنَا غَدَاءً فَاخِرًا . وَصَنَعَ جَاكُ تَاجًا مِنَ الْأَزْهَارِ ، وَضَعَهُ فَوْقَ رَأْسِهَا .

وَقَدْ ظَنَّ الْفَتَيَانُ أَنَّ بَاسِطِطَاعَتَهُمَا تَدْرِيبَ جِينِي عَلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ ، لَكِنَّهَا كَانَتْ تُجِيدُ التَّصَوُّيبَ أَفْضَلَ مِنْهُمْ جَمِيعًا .

قَالَتْ : « لَقَدْ عَلَّمَنِي وَالِدِي الصَّيْدَ فِي الْهِنْدِ . »

كَمَا كَانَتْ جِدَّ مَاهِرَةً فِي صَيْدِ السَّمَكِ ، وَكَانَ فِي اسْتِطَاعَتِهَا

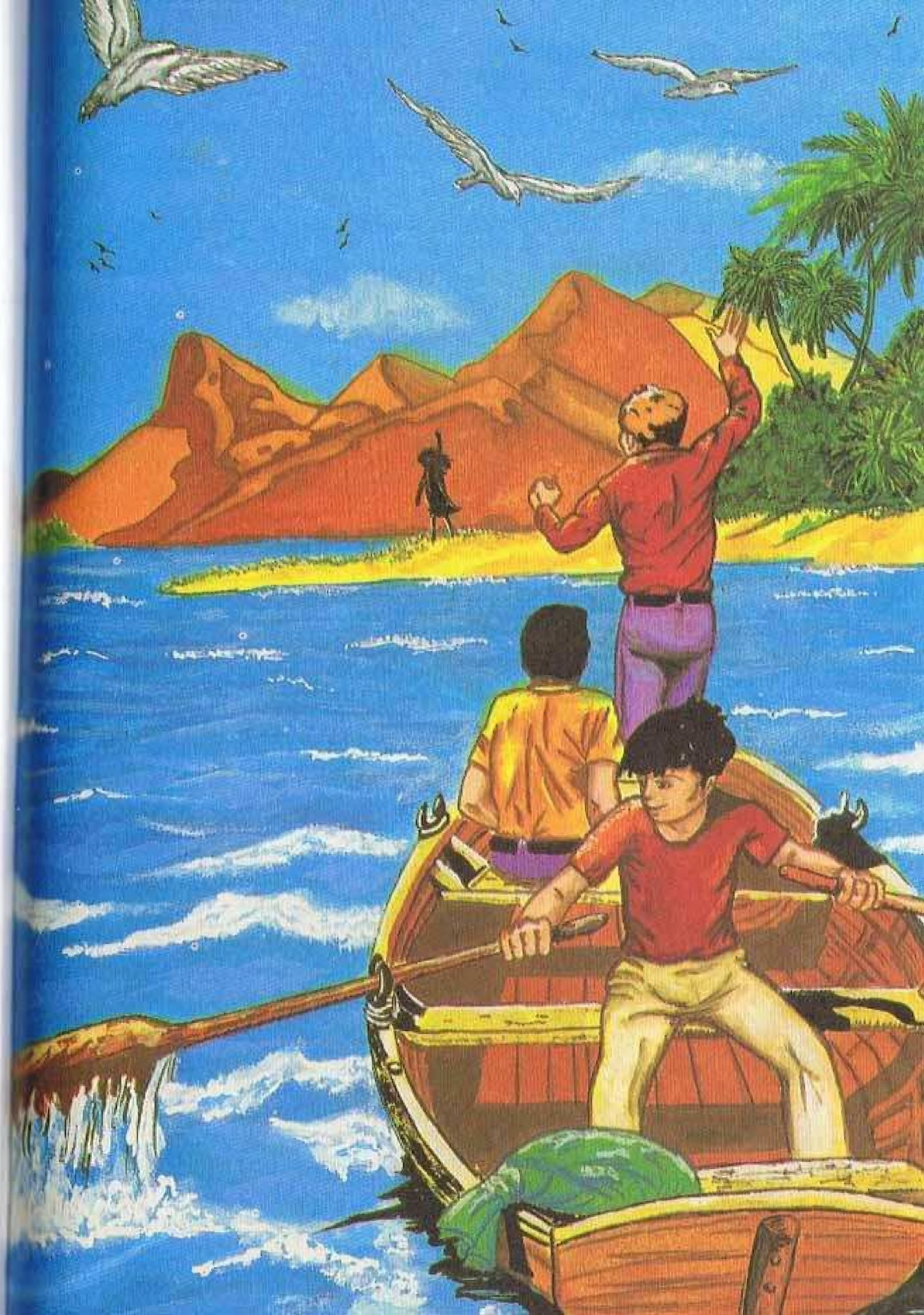
أَنْ تُخْبِرَ إِرْنِسْتُ بِالأَسْمَاءِ الْحَقِيقِيَّةِ لِعَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ النِّبَاتَاتِ ،
وَقَالَتْ : « لَقَدْ تَعَلَّمْتُ كُلَّ هَذَا فِي الْمَدْرَسَةِ . » وَسَرَّعَانَ مَا رَبَطَتْ
بَيْنَهُمْ صَدَاقَةً مَتِينَةً .

لَمْ تَتَوَقَّفْ جِئَنِي عَنِ التَّفْكِيرِ فِي وَالِدَيْهَا ، قَالَتْ : « إِذَا كَانَ قَدْ
تَمَّ إِنْقَادُ بَعْضِ بَحَارَةِ السَّفِينَةِ الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا ، فَسَيُخْبِرُونَ وَالِدِي
أَيْنَ تَحَطَّمَتِ السَّفِينَةُ ، وَسَيَطْلُبُ إِرسَالَ سَفُنٍ لِلْبَحْثِ عَنِّي . »

عِنْدَئِذٍ قَالَ فَرْتَزُ : « إِذَا أَتَتْ سَفِينَةٌ ، فَإِنَّ الرُّبَانَ قَدْ يُطْلِقُ قَذِيفَةً
مِدْفَعٍ . وَإِذَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نُجِيبَهُ فَسَيَعْرِفُ مَكَانَنَا . لَقَدْ كَانَ هُنَاكَ
مِدْفَعٌ صَغِيرٌ فَوْقَ السَّفِينَةِ الَّتِي تَحَطَّمَتْ بِنَا ، وَلَعَلَّنَا نَسْتَطِيعُ
اسْتِخْرَاجَهُ مِنَ الْقَاعِ ، مِنْ الْمَكَانِ الَّذِي تَحَطَّمَتْ عِنْدَهُ سَفِينَتُنَا فَوْقَ
الصُّخُورِ . »

وَبَحَثَ الْفَتَيَانُ عَنِ الْمِدْفَعِ . وَاسْتَطَاعَا نَقْلَهُ بِصُعُوبَةٍ إِلَى تَلٍّ
صَخْرِيٍّ مُرْتَفِعٍ ، قُرْبَ الْكَهْفِ . ثُمَّ وَضَعَا كَمِيَّةً كَبِيرَةً مِنَ
الأَغْشَابِ بِجَوَارِهِ ؛ لِيشْعِلُوا نَارًا يَنْبَعُثُ مِنْهَا دُخَانٌ كَثِيفٌ .

قَالَتْ جِئَنِي : « أَنَا وَاثِقَةٌ بِأَنَّ سَفِينَةَ سَتَاتِي ذَاتَ يَوْمٍ لَتُعِيدَنِي إِلَى
وَالِدِي . إِنِّي سَعِيدَةٌ جِدًّا وَأَنَا مَعَكُمْ ، لَكِنْ مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُ جِدُّ



حَزِينٍ ؛ فَهُوَ لَا يَدْرِي مَا إِذَا كُنْتُ حَيَّةً أَوْ مَيِّتَةً ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ مَا حَدَثَ لِي .

وَتَوَالَتِ الْأَسَابِيعُ ، وَأَعْقَبَتْهَا الشُّهُورُ . وَانْقَضَى الصَّيْفُ ، وَبَدَأَتْ أَمْطَارُ الشِّتَاءِ . وَعَاشَ فَرْتَزُ وَإِرْنَسْتُ فِي الْمَرْعَةِ ، يَحْمِيَانِهَا مِنَ الْقُرُودِ وَالْحَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ . أَمَّا أَنَا وَزَوْجَتِي وَجِنِي وَالْأَبْنَاءُ الصَّغِيرَانِ ، فَأَقَمْنَا فِي الْكَهْفِ .

وَانْقَضَى مَوْسِمُ الْأَمْطَارِ ، وَأَصْبَحَتِ الْحَشَائِشُ كَثِيفَةً خَضِرَاءَ ، وَامْتَلَأَتِ الْغَابَاتُ بِالْأَزْهَارِ .

وَذَاتَ صَبَاحٍ ، خَرَجَ فَرْتَزُ مُبَكِّرًا فِي زَوْقِ الْكَانُو ، لِيَصِيدَ سَمَكًا لِلْغَدَاءِ . لَكِنَّا رَأَيْنَاهُ يَعُودُ بِالزَّوْرُقِ إِلَى الشَّاطِئِ .

صَاحَ : « أَسْرِعُوا ! أَسْرِعُوا ! الْمِدْفَعُ ! هُنَاكَ سَفِينَةٌ ! »

وَأَسْرَعْنَا نَجْرِي إِلَى الصُّخْرَةِ الْمُرْتَفِعَةِ ، وَأَطْلَقْنَا الْمِدْفَعَ . وَأَشْعَلَ إِرْنَسْتُ النَّارَ فِي الْخَشَبِ ؛ لِيَتَصَاعَدَ الدُّخَانُ .

عِنْدَئِذٍ دَوَّى صَوْتُ طَلْقَةٍ أُخْرَى تُجِيبُ طَلْقَتَنَا . وَانْتَظَرْنَا ، ثُمَّ أَطْلَقْنَا طَلْقَةً ثَانِيَةً . وَجَاءَتِ الْإِجَابَةُ أَعْلَى صَوْتًا ، وَأَكْثَرَ قُرْبًا .

وَشَاهَدْنَا زَوْقًا يَقْتَرِبُ مِنَ الشَّاطِئِ ، فَجَرَيْنَا لِمُلَاقَاتِهِ . وَنَزَلَ

مِنْهُ ضَابِطٌ ، وَقَالَ : « أَنَا لَيْتَلْتُونَ ، رَبَّانُ السَّفِينَةِ « يُونِيكُورُن » . إِنِّي آمَلُ فِي الْعُثُورِ عَلَى الْآنِسَةِ جِنِي مُونْتَرُوزِ فَوْقَ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْجُزُرِ . لَقَدْ قَالَ لَنَا بَعْضُ بَحَّارَةِ السَّفِينَةِ الَّتِي كَانَتْ تُسَافِرُ عَلَيْهَا إِنَّ السَّفِينَةَ قَدْ فُقِدَتْ فِي مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنْ هُنَا . »

قُلْتُ : « هَذَا صَحِيحٌ ، وَالْآنِسَةُ جِنِي سَالِمَةٌ مَعَنَا هُنَا . »

نَظَرَ الضَّابِطُ يَتَفَرَّسُنِي أَنَا وَأَسْرَتِي ، وَإِلَى جِنِي وَهِيَ تَرْتَدِي مَلَابِسَ الْبَحَّارَةِ ، وَقَالَ : « وَلَكِنْ ... »

وَأَخَذْتُ أَعْرِفُهُ بِنَفْسِي ، قُلْتُ : « هَذِهِ زَوْجَتِي ، وَهَؤُلَاءِ أَبْنَائِي : فَرْتَزُ ، وَإِرْنَسْتُ ، وَجَاكُ ، وَفَرَانْسِيسُ ، وَهَذِهِ هِيَ جِنِي ، جِنِي عَزِيزَتُنَا ، الَّتِي أَصْبَحَتْ وَاحِدَةً مِنْ أَسْرَتِنَا ، تَمَامًا مِثْلَ أَيِّ فَرْدٍ مِنْ أَبْنَائِي . »

وَأَلْتَفْتُ إِلَى فِرْتَزْ قَائِلًا : « وَأَنْتَ ، يَا فِرْتَزْ ، هَلْ تَرْغَبُ فِي الْعُودَةِ
إِلَى أَوْرَبَا ؟ »

وَأَمْسَكَ فِرْتَزْ بِيَدِ جِينِي ، وَقَالَ : « نَعَمْ ، نَحْنُ نُرِيدُ الْعُودَةَ الْآنَ ،
لَكِنَّا سَنَعُودُ . »

وَتَرَكَ لَنَا الرُّبَّانَ لِيَتَلْتَوْنَ بَعْضًا مِنْ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَشْتَدُّ حَاجَتُنَا
إِلَيْهَا ، وَوَعَدَ بِإِرْسَالِ أَشْيَاءٍ أُخْرَى نَحْتَاجُ إِلَيْهَا . وَأَعْطَيْنَاهُ مَا لَدَيْنَا
مِنْ لَالِيٍّ لِيَبِيعَهَا لِحَسَابِنَا فِي لَنْدَنَ ؛ لِدْفَعِ نَفَقَاتِ تَعْلِيمِ فِرْتَزْ ،
وَلِثَمَنِ مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أَشْيَاءٍ .

وَالْآنَ يَجِبُ أَنْ أَتَوَقَّفَ ، فَالزُّورُ يُنْتَظَرُ .

« وَدَاعًا ، يَا بَنِيَّ ، وَدَاعًا ، يَا جِينِي ؛ حَتَّى نَلْتَقِيَ . »

الفصل العشرون

الْخَاتِمَةُ

اُكْتُبْ هَذَا الْفَصْلَ بِشَيْءٍ مِنَ الشَّجَنِ .

إِنَّ زَوْرَقَ السَّفِينَةِ « يُونيكورن » يَنْتَظِرُ لِيَأْخُذَ هَذِهِ الْقِصَّةَ عَنْ
حَيَاتِنَا هُنَا إِلَى إِنْجِلْتَرَا ، حَيْثُ يُمَكِّنُ أَنْ تُنْشَرَ فِي كِتَابٍ ، وَسَيَعْرِفُ
النَّاسُ الْكَثِيرُ عَنْ جَزِيرَتِنَا الْجَمِيلَةِ . أَمَّا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ الْعَيْشَ فِي
سَلَامٍ ، وَسَطَ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ الْبَسِيطَةِ الَّتِي أَحَاطَتْ حَيَاتِنَا بِمِثْلِ هَذِهِ
السَّعَادَةِ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ يَرْغَبُونَ فِي مُشَارَكَتِنَا حَيَاتِنَا .

وَسَأَلْتُ أَبْنَائِي عَمَّا إِذَا كَانُوا يَرْغَبُونَ فِي الْعُودَةِ إِلَى أَوْرَبَا ، أَوْ
الْبَقَاءِ هُنَا ، فَقَالَ إِرْنِسْتُ : « أَنَا أَرْغَبُ فِي الْبَقَاءِ ، سَأَتَعَلَّمُ الْمَزِيدَ
عَنِ النَّبَاتَاتِ ، لَكِنَّ الرُّبَّانَ يَجِبُ أَنْ يُرْسِلَ لِي كُتُبًا . »

أَمَّا جَاكُ وَفَرَانْسِيْسُ ، فَكَانَا أَصْغَرَ مِنْ أَنْ يَتَرَكَا .

المغامرات المشيرة

- ١- مغامرة في الأدغال
- ٢- مغامرة في الفضاء
- ٣- مغامرة أسيرين
- ٤- مغامرة في الجزيرة الخضراء
- ٥- مغامرة على الشاطئ
- ٦- الجاسوس الطائر
- ٧- لصوص الطريق
- ٨- حمد الغواص الشجاع
- ٩- اللسان الغيبان
- ١٠- مطاردة لصوص السيارات
- ١١- مغامرات السندباد البحري
- ١٢- لعبة خطرة
- ١٣- الحشرة الذهبية وقصص أخرى
- ١٤- اللؤلؤة السوداء
- ١٥- سر الجزيرة
- ١٦- مغامرة في النهر
- ١٧- شبح الحديقة وقصص أخرى
- ١٨- سر الدرجات التسع والثلاثين
- ١٩- الجاسوس وقصص أخرى
- ٢٠- مغامرات توم سوير
- ٢١- المختطف
- ٢٢- الكمبيوتر الرهيب
- ٢٣- الأميرة المتوحشة وقصتان أخريان
- ٢٤- موسيقى الليل وقصتان أخريان
- ٢٥- الناب الأبيض
- ٢٦- موبى دك
- ٢٧- سر القط الفرعوني
- ٢٨- سجين زنذا
- ٢٩- مغامرات هكليري فن
- ٣٠- الفرسان الثلاثة
- ٣١- رحلة كريم الدين
- ٣٢- مغامرات إباد بن السندباد



01C198232

مكتبة لبنان ناشرون